عجلة الوقت الشرسة

جابر
نور
سلطان



مجلس الثقافة العام

حسن أبو يوسف الدويشي

عجلة الوقت الشرسة

عجلة الوقت الشرسة

(مقالات في الثقافة والفنون)

جابر نور سلطان

الناشر

مجلس الثقافة العام

اســـم الكـتـاب	عجلة الوقت الشرسة
اســم المؤلـف	جابر نور سلطان
سـنـة النـشــر	2006م
رقــم الإيــداع	6925 / 2006 م
الترقـيم الدولـي	ISBN - 9959 - 38 - 075 - 0

تصـميم الغـلاف	علي العباني
لـوحـة الغـلاف	علي العباني (تفصيل)
التنفـيذ الفــنـي	عاطف الأطرش - نجلاء المنقوش

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فـرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فـرع بنغـازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005@yahoo.ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيـذ الطباعـة

القاهرة ت 0020123140315

الإهـــداء

إلى امـرأتين رائعـتين خـُلقـنا مـن
طـين الجـنة وتنـاوبـتا على محبّتي :

أمـي وزوجتـي

تقديم

الخلطة السحرية

الكتابة عن جابر نور سلطان فعل صباحي، يحمل بكل ما أوتي من اندهاش ذيّاك الأمل المنحوت بكل شعاع ضوء يسير بسرعة أقل من خطواتنا وأكبر من أحلامنا .

الكتابة عن جابر نور سلطان ، فعلٌ يتجاوزه فعل مقالاته وأشعاره، وتكاد الكتابة عنه هنا مجرد وضع لوحات للتعريف بمدينة معروفة. كأننا نرحب بالترحاب ذاته، وكأننا نقدم للتقديم، وكأننا نمهد للتمهيد، وكأننا نصافح المصافحة .

الكتابة عن جابر نور سلطان أشبه بإطلاق حمائم بيض في افتتاح مهرجان باذخ. وأشبه بعزف نشيد وطني لاستعراض كراديس فتنةٍ لا تنتهي، وأشبه بوضع يديك بمجرى نهر لتنعم ببرودة مائه في يوم قائظ، وأشبه بتصفيق البداية والنهاية لمعزوفةٍ بارعة، وأشبه باهتّزاز غصنٍ ملئ بكمثرى .

أعرفه .. أعرف قلمه المغموس بطيفٍ سماويّ منحن كقوس. أعرفه ناحتاً بارعاً بأظافره لتأسيس مكانته بعصامية يحسده عليها المتفرجون. أعرفه مجموعة أنهر كاملة في شخص واحد، ومجموعة تضاريس يغري تنوعها بالوقوف أمام قامته الجميلة ، ليتلو لنا ما تيسر من عمق وارتقاء وانسياب وسهولة عن حدثٍ ما يجيد التعليق عليه ، أبداً بروحٍ تبرع في

السخرية الطارقة إزميلها في حرقةٍ تبدأ من قلبه وتظهر في عينيه.

ذاك الكائن الوردي والصخري في آن ؛ اكتمل بالكتابة. وحدة مشاهد تتلى، وأفكار تنهض من نومها، ومواقف رجولية لا يشق لها كلام. وحدة لحم ودم وشعر وتجاون، دخلت الكتابة لذلك التكوين المدهش فانكشفت آفاق وتكونت مزن وتباسقت قامات. أخذت الكتابة منه لتعطيه، وتنفست الكتابة من أكسجين خلاياه لتوقع عنه في أعمدة الصحف أعمدةً لسماواتٍ أجاد صقلها، وغرفت الكتابة من معين عشقه لتعلن اكتشاف الجانب المخفيّ من القمر.

هنا .. في كتابه هذا، نلامس كل ما قلته عن جابر نور سلطان. بارع هو في فن المقال الصحفي الملتقط اليومي ليسبكه لكونية بَرِحة.

فن الالتقاط والسبك موهبة قبل أن تكون صنعة لكنها موهبة سريعة التلاشي ، إن تركها صاحبها ساهمة تنشط بكلام الثرثرة العادي وحكايات الهمز واللمز، وتظل في تكوين صاحبها مجرد براعة شخصية لأحاديث عابرة. أما إذا امتهن صاحبها الكتابة فهو إما روائي أو كاتب أعمدة صحفية. لماذا الأعمدة الصحفية بالذات؟. لأن فيها فعل الاستمرار الموقوت الذي يحتم على صاحبه ممارسة عادة الالتقاط حتى تصبح مهنة. لكنها أيضاً مهنة سريعة التطاير بشروط أولها الكنز الثقافي الذي يمتلك؛ وثانيها الأسلوب الواجب أن يكون مرناً وقابلاً للثنيّ والسحب والتشكيل .

وهنا نسجّل أن كتابة العمود الصحفي أصعب من كتابة

الـرواية. لأن الـرواية عمل إبداعيّ يُكتب غير مـربوطٍ بتوقيت لـه، أمـا العمـود الصـحفي فهـو فـوق حاجـته للإبـداع يحـتاج عنصـر التوقيـت القـاطع كالنصـل. وعـامل مقـارن آخـر بـين كـتابة الـرواية والعمـود الصـحفي (الابـنان الشـرعيان للالـتقاط) هـو نـوع الصـيد، أي موضـوع الالـتقاط الـذي سيكتب عنه، الـرواية ذات تـربة صـالحة لكل المواضـيع الـتي تخطـر عـلى الكاتـب، والخـادمـة لتأسـيس روايـته، أمـا العمـود الصـحفي فموضـوعه مقيد وتـراعى فيه عدة عوامل منها احترام سقف الصحيفة وسَحب القـارئ لنقاط المواضيع الملفتة والشغل على ما هو يومـيّ أو مـا شـابه. في الـرواية يكتـب الكاتـب بـلا جمهـور محـدد وقـد يكتـب لنفسه، أمـا في العمـود الصـحفي فـالكاتب يكتب لجمهور بعينه ، يكـاد يتخـيله بـل ويعـرفه ويحـاوره أثـنـاء الكـتابة، وهـنـا تـأتي الـبراعة في لعبة المشي على الحبل بين قوتين ؛ الجمهور الرقيب والتجاوز الضروري.

العمـود الصـحفي إذن من السلوكيات الكتابية الصعبة التي لا يـبرع فـيه سـوى مـن أراد ربـي وأصـر كاتـبه، فـالإصـرار وقـود مهـم للاستمرار في الحرق وتدوير التروس وارتياد الآفاق .

ومـا نقـرأه في هـذا الكـتاب هـو مجموعـة مقـالات كتبـت كعمـود صـحفي رصين في صـحيفة الجماهيرية تحت اسم (خلجة). وهـو لـيس مجـرد اجـتماع أشـقاء بـين كـل شـقيق وآخـر أسـبوع مـن الـزمن وملامـح مختلفة مـن الموضـوعات، ودرجـات مختلفة من الطبقات لصوتٍ واحد، بـل هـو ذاكـرة حاضـرة وأدب لذيـذ، في اخـتلاف الموضـوعات وعلاقـته الدالـة مـع الـزمن توثـيق لأطـياف مـن الأحـداث، والأروع أنـنـا نوثـق

انطباع صاحبها عنها، الذي هو انطباع مجايليه. التنوع الكبير في الموضوعات من الرقص والغناء إلى الدين والسياسة، دلّ على روح مثقفة تجيد تمرير الحدث من سم الخياط بكل مقاساته وكثافاته. كتب جابر عن كل ترددات ذلك الطيف الواسع لكن بأسلوب الساخر الرافض المستنكر المتألم لكن بنفَس العاشق. العشق إذن مادته ودواته وحبره. إن استنكر فهو استنكار العاشق، وإن رفض فهو رفض العاشق، وإن سخر فهي سخرية العاشق. العاشق الأكثر انتماءً والأكثر حيوية والأكثر حلماً. إنه منتمٍ كبير لهذه الأرض، وحارس قوي لحبات ترابها، مقاتل صلب لا يهادنُ في مواقفه، ولا يلين. وهو هنا يستحق لقب الفارس، اقرأوا هذا الكتاب لتعرفوا معنى ما أقول، تلمسوا كم يجاهد جابر لتصحيح موقف، وتبيان رؤية، وتوجيه سيل. هي الكتابة الموقف إذن. وهي الكتابة الفعل .

جابر نور سلطان يمتلك إذن مقومات الكتابة الحقّة والأجدر بالمكوث والتداول. يمتلك أصول التحاور الذي يثري الهدف، أسلوب امتزجت فيه الخلطة السحرية لجابر؛ الالتقاط البارع والسخرية القارصة، والشعرية الحميمة، والاستدراج السلس نحو الموضوع، والعمق في المعنى والمغزى. لكني لن أعطيكم مقادير خلطته السحرية؛ فجابر عصيّ على التكرار.

أحمد بشير العيلة

كاتب وشاعر

فلسطين / بنغازي

بكل ما أوتيتُ من حبّ (*)

بقدر ما أوتيت من حب ، أرسم لك مع مطلع عام جديد ، ملامح غدٍ ، أرجو أن يكون على قدر بهائك ، أيتها الحبيبة نحبك نحن المعلّقين بأهدابك ، نحبك نحن المتشبثين بأوصالك ، نحبك نحن الذين نرشف الطمأنينة من حليب وجهك ، نحبك ونعتذر عن كل هذا العناء الذي كدَّسناه في دربك ، وحدك أيتها النبيّة الجميلة أزحته. نحبك نحن المتمترسين أبداً بقلبك ، المتحصنين دوماً بروحك ، نحبك بقدر ما أوتينا من صخب ونفزع إلى صدرك ، نتفيأ ظلك ، ونخلع تعبنا عند عتبتك .

أيتها النبية الجميلة ، نحبك نحن المولعين برسالتك البيضاء ، نحن المؤمنين بشريعة النقاء ، نحبك ونخبيء تحت وسادتك بطاقاتنا ، كلماتنا ، نحن الذين أرهقناك بأحلامنا ، نحن الذين أنهكناك برغباتنا الجامحة ، نحن الموغلين في الضلالة.

نحبك وأنت تحملين قنديلك الأسطوري ، وأنت تزرعين النور في دروبنا ، وتدسين الدفء في جراب قلوبنا ، نحبك ، نقطف خلسة وروداً من أزاهيرك المعلقة على شرفتك العلوية ، نهديك وروداً مرتوية من وردك .. ألم نقل لك إننا منك .. إننا بعضك ..

(*) نُشرت كلّ مقالات هذا الكتاب في الدوريات الليبية خلال العشر سنوات الأخيرة.

نحبك بمعزل عن المتخمين والمتكرشين ، بمعزل عن الملاحقين أحلامنا ، عن المطاردين رغباتنا الساذجة.

نحبك لأننا بحاجة لحبك .. بحاجة لدفئك نحن المقرورين ، نحن المتعبين ، نحن المرهقين حتى الوجع ، نحن العاشقين للخبز الأبيض ، نحن الذين ننزع ضلوعنا ، ونعرضها عليك ، لتنتقي الضلع الذي تشائين وتحلين محله ..

أيتها الحبيبة حدّ النزف ، حدّ العظم. حدّ الشعر.. نحبك يا ليبيا وكفى .

جدل الجسد والخيزران

حين يترك الأمر للشعوب ، بعيداً عن مؤسسات المصادرة والإلغاء ، بعيداً عن جنون القوة ، وحماقة المؤسسات العسكرية المحترفة ، حين يترك الأمر للشعوب يكون بإمكانها أن تتفاهم بشكل جميل ، وتقيم حوارات مذهلة وتتواصل عبر قنوات تقود مباشرة إلى توثيق عُرى التواصل ، وتهيئة المناخ لممارسة طقس التفاهم والتعاون.

الشعوب ذات العلاقة بالحضارة والتاريخ التي تتقن صياغة خطابها ، ومشروعها الفكري والثقافي والفني ، تعرف كيف تتخاطب ، وتعرف كيف تقدِّم نفسها من خلال فنونها الجميلة..

في المكان ذاته الذي شهد قبل فترة وجيزة [1] حفلاً غنائياً إيطالياً لفرقة نابلي ، أقيمت سهرة كورية ساحرة .. كانت كفيلة لنقلنا إلى أعماق كوريا ، وإلى تلمس ملامحها ، وإلى رؤيتها رؤية حقيقية دونما رتوش ، بل في أجمل طقس جديد بالممارسة ، " طقس الفنون " خاصة " حوارية" الجسد وجدله الجميل بمعزل عن لغة - الكلام ، وبمعزل عن صخبها وعجزها ، كان من الميسور مشاهدة الراقصين والراقصات الكوريين في " حالة" من الاندماج العميق ، يتجاوز الشعور إلى اللا شعور.. إنه محاولة حقيقية تتيح للجسد أن يعبّر عن مكنونات النفس دونما ضجيج .

ماذا أريد أن أقول .. الذي أريد أن أقوله إن هؤلاء الكوريين الذين أنجزوا مشروعاً تنموياً حضارياً مميزاً ، لم يهملوا أبداً فنونهم الشعبية الأصيلة بكل عتاقتها ، بل رسّخت في أذهانهم ووجدانهم عبر الأجيال. لم يفرطوا في شيء ، جاءوا بأزيائهم الشعبية المذهلة ، جاءوا بمزاميرهم الخيزرانية العملاقة والصغيرة ، جاءوا بطبولهم المتنوعة ذات الإيقاع الجمالي والصوتي البديع.

حافظ الكوريون على هويتهم الفنية ، لم يسقط منهم ملمح ، ولم يضيّعوا قسماتهم الحقيقية ، ظلوا أوفياء لتراثهم ، على الرغم من هذا القدر الهائل من التقدم التقني الذي أحرزوه ، اعتصموا بتراثهم ، بهويتهم ، تحصّنوا بفنونهم واتخذوا أروع السبل وأقصرها إلى الروح وهو الفن ، فخفضت لهم بنغازي أجنحة الحب وهيأت لهم مساءً من مساءاتها الأسطورية .. وغادر البحر موقعه وحجز مقعداً في القاعة ، وأحاطته مويجاته الجميلة .. أما القمر البنغازي العاشق فقد كان هو أيضاً - في استقبال ضيوفه.

رائع هو الفن ، وكفيل بجعل الناس أوفر حساً وأرق شعوراً.

---

(1) صيف 2004 م.

كلام يزعل جداً

ليس بالإمكان أن نظل نشرب أنخاب النشوة، وليس بالإمكان أن ندّعى الزهو إلى الحدِّ الذي يجعلنا لا نرى ما ينبغي أن نراه ..

أُسرع وأُشهر سؤالاً نارياً : إلى متى يظل الفقراء هم المدافعين عن الوطن والوطن لا يحب إلا الأغنياء) ..

إلى متى تظل القيم الطيبة، تمائم معقودة بأعناق الفقراء..

الذي يحدث في فلسطين، أن الذين يتمنطقون بالأحزمة الناسفة، ويشعلون الشهادة هم أطفال وشباب الفقراء، أطفال المخيمات الفقيرة، أطفال المخيمات الحزينة .. تُرى لماذا يحب الفقراء أوطانهم كل هذا الحب .. تُرى لماذا يقدّمون أرواحهم رخيصة.. لأوطان لا يملكون فيها شيئاً .. هل سمعتم عن أبناء الأثرياء يستشهدون .. أو أبناء المسؤولين ، إنهم موجودون خارج الأراضي المحتلة، إنّهم في جامعات أمريكا، وأوروبا.

بئست أمة التي تتمترس خلف جسد طفلة فقيرة بريئة اسمها آيات الأخرس، أو شابة جميلة اسمها وفاء إدريس أو عاشقة تنتظر الفرح اسمها عندليب .

علينا أن نصاب بالخجل ونحن نرى بنات الفقراء يمتن، مع

كامل التقدير والإعزاز، والافتخار بهذه الروح الوطنية لهن .

أنقول كلاماً آخر يزعل يتعلق بأولئك الشيوخ والفقهاء، الذين ما لبثوا يمارسون الكبت والحجر على المرأة .. والتأكيد على ضرورة أن تصحب معها " مَحَرْم " في ترحالها .

تُرى أياً من رجال العرب يجرؤ على مصاحبة هذه الفتاة في رحلتها الاستشهادية ؟ هل ثمة (محرم) يحمل هذا القدر من الشجاعة التي اتسمت بها ابنة الثمانية عشرة ؟.

المرأة الفلسطينية تتحدى الرجال والشيوخ .هل من محرم؟!

أين أبناء المسؤولين الذين يكافحون عبر الفضائيات. أنا أعرف أين أبناؤهم وبناتهم ؟ لماذا لا يسهمون في الدفاع عن الوطن .. لماذا يسلم كل المسؤولين والمنفذين ولا يصابون بخدش.

ويؤسر المناضلون هل ثمة مؤامرة ؟ يا وطن مَنْ يحبك أكثر من الفقراء، من يدفع روحه رخيصة دونك إلا الفقراء ؟ فمتى تصالح الفقراء ؟ وإلى متى يظلّون هم وحدهم، أكباش فداء للمتخمين والمترفين و الأثرياء ..

يا وطن سنظل نحبك .. ونعلّم حبك لأطفالنا .. وسنظل دائماً نهيئ أرواحنا لتليق بالفناء في ترابك الذي يسرقه الأغنياء ولا يتورعون في بيعه بالمتر ؟..

آمـــال[1]

تسألني " زينب" ألم تكتب عن " آمال " ؟!!

تلتمع عيناها بالسؤال " آمال" الصديقة العتيقة التي نأت فجأة مثل يمامة بيضاء ، دونما ضجيج ، لملمت أجنحتها الصغيرة ومضت.

لملمت كراسها الصغير وقلبها الكبير ومضت .

أكتب عن " آمال" الذكرى التي تستلقي ما بيني وبين " زينب " في ليالى الشتاء ، نجلسها بيننا عصفورة جميلة ، وردةً مبلّلة ، ندثّرها بدثارنا ، نستمع إلى عطرها ، ننعم النظر في وجهها ، نلملم النجوم من على سماء جبينها ، ونلتقط الياقوت من عمق بحرها.

يا الله مازالت دمعتان حائرتان تدوران ، أذكر حينما أطلعتني عليهما ذات نهار ، أذكر حينما هيّأت لقلبي أن يصافح قلبك عن قرب.

حينها لمحت جرحك القصيَّ .

.. أدمعنا معاً ونحن نهمس همساً ، خشيةً من لصوص الكلام

---

(1) آمال : الصديقة الصحفية المعروفة آمال البراني .. التي شاءت الحياة أن تنتقل للعيش في أمريكا.

الجميل ، الذين يتسكعون الآن مثل ذبابات طافحة بالكآبة في عين المكان.

أيتها اليمامة البيضاء التي تبسط لها زينب كفّها وأبسط لها كفّي ، وتنام ما بين بوحها وبوحي ، وتذوب ما بين خوفها وخوفي ، وتستريح ما بين شغفها وشغفي .

تقول " حبيبتي " التي تضاهي مواسم من الربيع ، أكتب عن " آمال" التي نقتسمها وقتاً من البنفسج ، وفسحة من الأريج ، يتوق المكان لعبيرها .

اكتب عن آمال التي تتوزّع بيننا ، ذكرى جميلة ، هرة ناعمةً نسكنها دفئنا ، ونشطب المسافات التي تعزلنا.

نشطب البحار والمحيطات.

نشطب الحقيقة التي تنتصب ، فنمسك بك نمسك "بحلمك" وننتحبُ.

يطلّ وجه " مريم" التي ينام قلبها على صدر الهاتف ، يسترق السمع لصوت يأتي من هناك ، مريم التي لم يعد لها سوى الأسلاك ، التي تمتد من (قلبها إلى قلبها) قصة من الحنين ، تصوغها أمّ لم يعد لها سوى بضع " صبّارات " تعلّق على شفاها سؤال الندى الغائب.

سيبقى الـ(هناك) هناك وتبقى المسافات شاخصةً تلاحق قلب أمٍّ أسندت قلبها إلى الهاتف الصموت ونامت.

الثقافة "العربية" لا تملك عصا سحرية[1]

كنت أود من كاتب في قامة " فرج العربي " أن يُسهم بإشعال شمعة أو إضافة وردة في باقة " الثقافة العربية " وهي تعبر عامها الخامس والعشرين .. وهي مازالت وفية لخطابها ومشروعها اللذين تبنتهما منذ بزوغ شمسها ، ولست هنا في باب الدفاع عن المجلة ولا ينبغي لي أن أفعل ؛ " فالثقافة العربية " ليست في قفص الاتهام ، بل على العكس هي تزداد قوة وتزداد رسوخاً .. ويعلم " فرج العربي " قبل غيره وهو قريب جداً من أسرتها ومطّلع على أمورها .. أنها ليست مجلة مرتزقة ، فهي لا تلوح بـ (الدولار) لكاتبيها ولا تشير بالإسترليني ، بل حتى كتابها المحليين ينفقون الشهور الطوال في انتظار مكافآتهم غير المجزية .. وعلى الرغم من ذلك تمكنت المجلة من تحديد ملامح مشروعها الثقافي دون أن تسقط في لعبة " الصحافة " التي يريدها لها " العربي " ولا أدري كيف يريد لها أن تخوضها .. هل تخوضها بأصولها المطروحة الآن حيث اختلط الحابل بالنابل .. ولا أدري ماذا يعني العربي " بأن المواد المنشورة لا تخضع لآليات العمل الصحفي : أولاً هذه " مجلة " وللمجلة أدائيتها التي تفردها عن غيرها وهي ليست معنية باللهث وراء البهرجة الصحفية لا على

---

(1) هذا المقال نشر في عام 1998فـ حين صار جدل كبير حول مجلة " الثقافة العربية ".

صعيد الشكل أو المضمون..

وردّاً على زعم العربي حول مضامين ما تنشره المجلة .. فإنني أورد بعضاً مما نشر في العدد (المزدوج) الذي اعتبره فرج تحايلاً ، هو يعلم أن السبب في ذلك ليس عجز المجلة عن توفير المواد والمواضيع ، إنما مردّه أمور فنية لعدم وجود " مخرج " مما حدا بأمين تحريرها في خطوة جريئة بأن أتاح الفرصة لفنان تشكيلي وهو عادل جربوع ، ليثبت وجوده وينضم إلى سلك المخرجين بجدارة وهذا يحسب للمجلة.

أعود للمواضيع وفي آخر عدد فقط : تصادفنا العناوين التالية/ مستقبل العلاقات بين طرفي المتوسط ، الخيارات والرؤى المستقبلية للاقتصاديات العربية ، القرصنة بين تاريخين - أدب الحرب ، الهوية بين الإشكالية النقدية للمفهوم التنظيري. وغير ذلك من المواضيع المهمة ..

وأطمئن " العربي " بأن المجلة على صعيد تأثيرها في الواقع الثقافي العربي .. فإنها تسجل نجاحات متوالية من خلال كمّ الرسائل والمواضيع التي تصلها من كُتّاب يعشقونها ويؤمنون بمشروعها الثقافي القومي ، دون أن تدفع لهم سنتاً واحداً وهذا قمة النجاح لمطبوعة ، تستقطب أسماء مهمة في الوطن العربي للكتابة معها لذاتها .. في وقت توجد فيها مطبوعات يصرف عليها " ميزانيات ضخمة " وعلى الرغم من ذلك تحولت إلى مسخ لعدم وجود التناغم والانسجام بين ما تنشره وعدم جدية الأسئلة التي تطرحها .

وهناك مثلٌ أريد أن أتلوه على الشاعر " فرج العربي " وهو

صديق عزيز على نفسي .. لكنني أحتفظ لنفسي بالاختلاف الجميل معه ، كذلك أمنح نفسي ما منحه لنفسه بصراحة في التناول .. المثل يقول " كل إناء بما فيه ينضح " .. ترى كيف يقيم العربي حجم المشاركات والإسهامات الفاعلة من المثقفين والمبدعين والمفكرين العرب الليبيين في المجلة ؟

العربي نفسه ما حجم مشاركاته في المجلة .. لقد منح المجلة دراسة عن رفيق ألقيت في مهرجان مرّت عليه سنون طوال ومع ذلك احتفت بها المجلة ونشرتها .. ترى هل تخترع المجلة أو تفتعل واقعاً ثقافياً .. هي مفتوحة للجميع ، يعلم ذلك العربي لماذا لا يسهم هو غيره من المبدعين في طرح أسئلة ثقافية ذات طابع مشروعي جاد على صفحاتها ؟ أين الدراسات النقدية الجادة ؟

أما عن علاقة المجلة بقرائها خارج الجماهيرية فأقول له بأنها قوية بدليل المشاركات والإسهامات فكل قصور الثقافة في مصر العربية.. تشارك فيها ومعظم الأصوات الإبداعية المهمة في مصر تشارك فيها وقد شهد لها الغيطاني بذلك في لقائه مع مدير تحريرها[1] وقال إن المثقفين في مصر يحتفون بها وتذكر الرسائل أنها سرعان ما تنفد. ونذكر مصر بالذات ، بسبب ظروف الحصار الجائر. فإن المجلة حُرمت من التواصل مع قرائها وعلى الرغم من ذلك تأتي رسائل من كل مكان .. آخرها ورد من موسكو ، وأخرى من بغداد وأخرى من جمعية نسائية إيرانية تسعى بأن تزودها المجلة بأعداد منها أول بأول ، ورسالة من مكتبة جامعية في ألمانيا هذه آخر الرسائل فقط أردت ذكرها من أماكن متنوعة .

يا " فرج " بدلاً من أن توجّه هذا " الهجوم " المغلف بكلمات وردية عليك أن تسهم بقوة في هذه المجلة .. فأسرة المجلة لا تتعامل مع الأشباح ولا مع السُّدَم ، ولسنا كغيرنا نملك في خزائن المجلة الدولارات.

أنت تعلم الظرف التي تمارس فيه المجلة [2] عملها .. وهو مثل ظرفك الذي تمارس فيه عملك الآن في المركز الثقافي الذي نجني عليه كثيراً حين نقيم عمله وأداءه بمركز ينفق عليه الملايين. وأنت تتأزم حين ندعو ضيوفك لأمسية شعرية في أضيق الحدود.

" الثقافة العربية " محبوبتنا جميعاً لنمارس العشق لها بنقاء وهي تمد قامة جميلة على امتداد الوطن الصغير والكبير تحمل لوحة لجريبوع ، ولعبيده وللعباني وللحاسي وللحداد ، وللنيهوم وتحتضن نصاً للغزالي وللسوسي وللكدي وللعربي ولخديجة ولعائشة وقصة للمصراتي وللمسلاتي وللفاخري وأحمد يوسف عقيلة والصديق بودوارة ولا تنسى داوستاشي وما يبدعه العربي في فضاءاته ولا الغباشي ولا أبو سنة ولا الغيطاني ولا الركابي ولا السيد نجم ولا الجمل ... وغيرهم وغيرهم من المبدعين..

لقد بذلت المجلة مجهودات مضنية في استقطاب كتابها على الساحة الليبية حدَّ المضايفة لهم .. لكنها لا تملك عصا سحرية لتخترع واقعاً ثقافياً مذهلاً.

---

(1) الناقد المسرحي الراحل / محمد مفتاح بوشعالة.

(2) مرّت المجلة في تلك الفترة (98) بظروف صعبة ، انتهت بوقفها عن الصدور لمدة عامين كاملين.

ثلاثون عاماً: "ثقافة عربية"

قبل أكثر من عشرين عاماً تقريباً ، وذات يوم من أيام الصائفة ، وعدني صديق لي ، بأن يقودني إلى زيارة ، مجلة "الثقافة العربية". هذه المجلة التي كنت أدأب على قراءتها ، وطيلة الساعات التي سبقت الزيارة ، كنت أتخيل الصورة داخل هذه المطبوعة المهمة ، كنت أتخيل مبنى كبيراً ، وحركة وجلبة ومعدّات وآلات. شطح الخيال ، يمنة ويسرة ، حتى أفاق وحطّ به الرحال أمام عمارة متواضعة قديمة تدعى عمارة " المهدوي" في شارع جمال عبدالناصر ، سلّم مظلم كان علينا صعوده ، لم نرتق كثيراً حتى أومأ إليّ الصديق بأننا وصلنا ، وصلنا قلت في نفسي مذهولاً : أهذا هو مقر المجلة ؟!!

هذه الشقة الضيقة المتهالكة ، والمكاتب المتواضعة كان ذلك اليوم في عام 1983ف هو بداية تعرّفي على هذه المجلة العريقة ، لقد وقعت في غرامها ، ونصبت شباكها حولي ، ولم أسع أبداً للتخلص من قيدها ، بل كنت أسعى إليها سعياً ، في ذلك المكان المتواضع ، كانت بداية تعرّفي على أدباء وكتّاب وصحفيين ومثقفين ، وكان يرأس تحرير المجلة الأستاذ / محمد حسن البرغثي. كان المرحوم الشاعر على الفزاني مكلّفاً بإدارة المجلة في ذلك الوقت ، وكان مدير التحرير الأستاذ / عبدالرازق بوخيط والمحررون ، أنيس السنفاز ، محمد بوشعالة ، سكينة بن عامر ومراجع لغوي من مصر هو

الأستاذ / أحمد صبره ، والمخرج الفلسطيني حسين مصطفى.

لا أريد أن أقرأ عشرين عاماً من الحبّ لهذه المجلة ، عشرين عاماً من التعلم والتطلّع ، كنّا فريقاً رائعاً ، شباباً ضافياً بالحيوية والنشاط ، إذ التحق بركب المجلة في عامٍ لا حق تقريباً الأخوات الصحفيات : زينب شاهين - ليلى النيهومْ - تهاني دربي . ولم يمر وقت طويل حتى التأمت بالشّمل الصحفية : إلهام بن علي ثم التحقت فاطمة الورفلي ، .. كانت المجلة بمثابة مدرسة لنا جميعاً ، لم يبخل أحد علينا بخبرته وتوجيهه. ولابدّ هنا من الإشارة إلى الأديب الأستاذ / حسين مخلوف الذي التحق بركب المجلة وأفدنا منه كثيراً. وكذلك الإذاعي الأستاذ / حسن بن عامر والأستاذ / عبد السلام شلُّوف ، ومرّت السنون وانتقلت المجلة إلى مقر جديد رائع مؤثث صار لكل منّا مكتب ، وصارت للمجلة مكتبة ، ونشاط ثقافي أسبوعي يُعقد في رواقها .. تاريخ عريق لهذه المجلة .. ربما أعود إليه في وقت لاحق .. لكن الحقّ الذي يجب أنّ يُقال . المجلة قد تعثّرت في مسيرتها وكانت تنهض من كبوتها ، ؛حتى أتى عليها حِينٌ صارت نسياً ، أكثر من عامين من التوقف ، حتى اعتقد بعضهم أنّها ماتت بل وئدت ، حتى سطعت شمس مجلس تنمية الإبداع الثقافي ، الذي أعاد الأمل إلى روح الإبداع والمبدعين ، ونبّه الفرح في عيون الثقافة والمثقفين ، ولم يتوانِ هذا الصرح الذي ولدَ كبيراً ، نعم كبيراً لكفاءاته البشرية الرفيعة المستَوى ، التي هي أدباء وكتّاب ومثقفو هذا الوطن العظيم ، ومجلس كهذا كان طبيعياً أن يكون في مقدّمة قراراته - وهو

لم يـزل في طـور البـنـاء والتشييد - احتضـان مجلـة " الـثقافة العربـية " إيمانـاً مـن القـائمين عليه. وبفضـل جهـود مضنية وقـف عليها ، عبرت المجلـة بعـد توقـف وسـبات إلى عامهـا الـثلاثين ، وهـي أكـثر شـباباً وحـيوية ، بهيـئة جديـدة ، أعـني هـنـا هيـئة في الشـكل والمضـمون ، وفي أبهـى صـورة ، بعـد أن اخـتير لهـا هيـئة تحريـر موفّـقـة ، حيـث أسـندت مهـام رئـاسـة الـتحريـر إلى أسـتـاذ فـاضـل ، ومـثـقـف واعٍ ، ومشـارك نـشط في المشـهد الـثقافي وهـو الأسـتـاذ / محـمـد جـاب اللـه الفـرجـانـي ، أمّـا إدارة الـتحـريـر فـقـد أسـندت إلى الشـاعـر الأسـتـاذ / محـمـد المزوغي ، أمـا مكتـب طـرابلـس فـقـد أسـنـد للأديـب / أبـو القـاسـم المزداوي ، ولأول مرة في تـاريـخ مجلـة " الـثـقـافـة العـربيـة " تـُجمـع المجلة وتصـمم وتنفـذ وتخـرج بـأحدث التـقنيـات الـتي زودهـا بهـا المجلـس الموقّـر ، وبـأيدٍ عربيـة ليبيّة مـتجاوزة واحـدة مـن أعقـد المشـاكل الـتـي صـادفـتهـا وهـي الإخـراج ، نـاهيك عـن مشـاكل الطبـاعة. كل عام " والثـقافة العربيـة "بكل عـافية ، وفـاء لشعـارهـا" ثـقافة عربيـة أصيلة وفكر إنسـانـي مـتفـتـح " ..

ما لذي حدث في مركز جهاد الليبيين
على يدّ الرجل "الخطير"

كان ينبغي لي أن أكتب عن أمسيتي الشعراء والشواعر اللتين أقامهما مجلس تنمية الإبداع الثقافي، بمركز دراسات جهاد الليبيين، بمدينة طرابلس[1]، مفتتحاً لجملة من الأروقة في مجالات الإبداع كافة، كان ينبغي لي أن أكتب عن تلك النسوة اللاتي جئن للتوّ من مسبح النور، مُشهرات عطرهن الباذخ، ومعلنات سطوتهن الأثيرة، كان ينبغي أن نتحدث عن سعاد سالم، ومريم سلامة، وأمّ الخير الباروني، وحوّاء القمودي، وحليمة الصادق، كان ينبغي أن أتحدث عن نصوص طازجة، مازال يعلق بأعراقها ندي البهجة والذهول.. الموضوع يشدّني إليه.. لكنني سأرجىء تلاوة ما حدث، لأعبر مباشرة إلى موضوع آخر، حدث في جنبات المكان ذاته، مركز دراسات جهاد الليبيين الذي يطول الحديث الجميلُ عنه.

تزدحم الأفكار، لكنني أمارس ضدها جميعاً التأجيل، وأطرح ما حدث في المحاضرة التي ألقاها محاضر غربي أكاديمي في رحاب المركز، كان عنوان المحاضرة "حوار الحضارات" ولا أريد أن أعرض لأفكار الرجل، وللقضايا الخطيرة المسكوت عنها، التي فصّلها من خلال وجهة نظره، بتسلسل منطقي ومركّز ودون تشنج وفي هدوء منقطع النظير، والأهم بلغة عربية فصيحة لم يلحن فيها سوى مرة واحدة واستدرك سريعاً، الأمر

---

(1) صيف 2003 م.

الذي أثار إعجاب صديقنا الأستاذ / اللغوي محمد جاب الله الفرجاني[1]/ رئيس تحرير مجلة " الثقافة العربية" الذي تابع المحاضرة وقال الرجل الغربي كل ما يريد قوله ، حول الدين الإسلامي ، وحول محاولات تسييسه ، متعقباً الحركات والجماعات التي أصرّ على نعتها بالمنظمات ، وكذلك الأحزاب ، على امتداد العالم الإسلامي ، انتهى الرّجل بغض النظر عن خلافنا ، أو اتفاقنا معه ، وبدأت المداخلات من أكاديميين ومن متخصصين ، ويا ليتها لم تكن هذه المداخلات ، كلّها أو جلّها ، فأصحابها ، بدوا متوترين متشنجين صداميين ، علا صوتهم ، لم يقارعوا الحجة بالحجة ، بل اكتفوا بالخطاب الإنشائي ، الذي لا يتقنه ذلك الرّجل " الخطير " نعم خطير ، فهو يعرف كيف يوّجه سهامه في مقتل بابتسامة جميلة ، وبأيدٍ مخملية ، وبصوت ناعم ، وكأنه يقول من فضلك هيئ قلبك وعقلك لهذا السهم القادم المصقول الملوّن المعطّر ، للأسف ، كانت مداخلات إنشائية خطابية ، تعوّدنا عليها في جولاتنا ، بل كثر فيها اللّحن والخطأ اللغوي ، وبدت مرتبكة، يعوزها البرهان والحجّة .

هاهو " الآخر " قاب قوسين أو أدنى وهذا المستشرق نموذج ، يخبر تفاصيل التفاصيل ، فما علينا إلا أن نهيئ أنفسنا لحوار رصين مسؤول ، غير متشنج ، وغير متزمت ، يستعين بالقول الثابت والحجّة الدامغة ، يدرك أنّ الآخر له مرجعياته وثقافاته ومسلّماته ، ولا داعي لأن نعلن عليها الحرب الكلامية طالما ارتضينا لغة الحوار فلا بد أنّ نتقن شروطها وقواعدها .

---

(1) الأستاذ: محمد جاب الله الفرجاني .. موجّه تربوي لغوي ، ومهتم باللغة وآدابها. ترأس تحرير المجلة في عامي 2002 - 2003ف.

كشف المستور عن الأحمق والمغرور

لقد حان الوقت .. الوقت الذي تأخّر كثيراً ، الوقت الذي حفرنا له حفرة عميقة في غياهب النسيان ، أو التناسي ، وكتمنا أنفاسهُ ، وشعرنا براحة وطمأنينة وسكينة ، شعرنا وكأننا نحلّق في السماء ، وصرخنا من أقصى أعماقنا ، لقد انتهى الكابوس ، وانتهت القناعات الجوفاء ، أفرغنا مزاهيرنا من زهرها العتيق ، وغرسنا ، بدلاً منها ، زهراً مغايراً لا يدركه الوهن ولا الضّعف ، ولا يرهقنا برعاية ولا عناية ، زهراً " بلاستيكياً " ذا رونقٍ أخّاذ ، كأنه طبيعي يتنفس ويحسّ ويشعر ، ويراوغ الرّائين.

ما الذي حدث الآن ؟

ما الذي أيقظ ذلك " الوقت " بكل ما يحمل من دلالات وكلمات ؟ إنّها كما هي ، لم تتأثر ، ولم تمت ، بل لم تخدش .

إنها تلحُ ، وتشطب زمناً ، وتكتب زمناً ، يا الله .. أيّ كارثة حلّت .. هل يمكن أن ندعو هذا " الأستاذ " بما ينبغي أن يدعى به " جاهل " وأجوف " وذاك الذي أسهبنا في إطرائه وما هو إلا " أحمق " غبي " وهذا الذي طرّزنا فيه أوصافاً وخلعنا عليه ألقاباً وما هو إلا " لصّ " أنيق عرف كيف يسرق ، وكيف يخاتل ، وكيف يصبح ثرياً دفعة واحدة ، وذاك الذي خلع ثوب الحياء والخجل واستغل موقعه ،

ومع ذلك دبّجنا فيه قصائد عن أخلاقه وطيب معدنه .. وهذا الذي لا يتقن شيئاً سوى ... " القوا..." ويمارسها علنا (على عينك يا تاجر) وتلك التي لا تحمل في جوفها إلا الحقد والقذورات وعلى الرغم من ذلك ندعوها بالطاهرة الرائعة ، وتلك " البلهاء الخرقاء ". هل نفجّر في وجهها ما تستحق .. لقد حان الوقت لنخزق جراب " المجاملة " التي هي في رواية أخرى كذب ونفاق ، وربما دجل يقول صديقي .. إنه حدث فاصل .. خلجة هذا العدد ستفجر الدنيا أو تكسرها سنكشف الذين نافقناهم كثيراً ، وجاملناهم كثيراً ، بل أسرفنا في مدحهم حتى صدقوا ، سنسميهم أسماء رباعية .. سنسمي الصديق المراوغ الذي لا يتقن سوى "السطو الملّح" بمعنى الكلمات المليحة هي طريقه إلى القلوب والصديق " اللئيم" .

هيئوا أنفسكم لسماع الكلام الحقيقي عن هؤلاء وهؤلاء .. إنني أشعر براحة لم تتملكني من قبل ، سأجاهرهم ، وأقذف في وجوههم صفاتهم الحقيقية .. ما الذي سيحدث فيما بعد ؟ لا يهم ، المهم كشف المستور عن الأحمق والمغرور وتعريته. استغرقني هذا الحلم .. استغرقني طويلاً وعميقاً ، عزلني عن العالم برمّته ، سأشهر الوصف الحقيقي في وجه هذا " المتغطرس " الذي لا يملك إلا " العنطزة الفارغة " وما هو بكبير ولا جميل ولا عمل يحزنون سأشرع الآن في نزع أوراق التوت ، سمع هُس " ..

لم يقطع عليّ لذة هذا الحلم - يقول صديقي - الجميل سوى نداء أحدهم عليّ وأنا أسارع بالإجابة نعم ... نعم يا أستاذ يا عظيم!!

مذيعات ومجاملات وتجهم !!

ثعـــابين

مسـكينات الفـنـانات المطـربات ، تحولـن إلى دُمَـىً تـتلوى وتتراقص ، أصبحن لعبة في أيدي الشركات المنتجة التي لا همّ لها إلا الـربح بـأي ثمـن ، مسـوخ ، ثعـابين تـتلوى ، تعـرٍ فاضـح ، حـركات وتأوهـات لا تثير إلا الغرائز ، تُرى إلى متى سيستمر هذا الوضع ، وإلى متى سيمارس المترفون والمتخمون إفسادهم لكل شيء ؟

مـذيعـات الفـوضـى

لقـد طـال العبـث كـلّ شـيء ، وأفـرزت الفضـائيات نوعـاً مـن المذيعـات اللاتـي لا يـتقنّ شيئاً قدر إتقـانهن للخلاعة والميوعة ، وهن نتاج مرحلة من الفوضى الإعلامية ، طراز معين يلهج بطريقة واحدة ، توزّع وانتشر ، عبر برامج جوفاء ، ربما تليق بهذا الزمن العربي .

مجـامـــلات

بعـض الـبرامج في الإذاعـة المسـموعة ، تـتحول إلى (صـرف) مجان للألقاب ، فالمذيع على مدى أكثر من ساعة يتحول إلى مادح لضيفه ، ويخلع عليه أكبر الألقاب الرنّانة ، فكل ما يصدر عنه رائع ، وجميل وعظيم .. حتى إذا كان صوته نشازاً ، وألحانه ضعيفة وكلماته

عادية أو كاتب ، مازال يتهجى خطى الكتابة ، يسارع المذيع ويمنحه لقباً مجانياً ربما يضُرُّ به ، وهو في مبتدأ طريقه ، هو بحاجة إلى زرع الثقة نعم ، لكن ليس بحاجة إلى تفخيم وتضخيم .

ثـــروة

المركوب تكريم جميل. وكانت لمسة وفائية جميلة أن يكرّم الفنان من خلال منحه فرصة للحصول على مركوب بسعر معقول .. لكن هذه اللمسة على روعتها ، تحتاج إلى لمسات عديدة ، تؤازر الفنان وتدعمه ، من خلال احتضان أعماله ، وتوفير قاعات تسجيل محترمة ، وحوافز مشجعة ، ورعاية اجتماعية وصحية ، فالفنان الحقيقي كنز حقيقي والفنانون الحقيقيون هم ثروة وطنية ، يجب ألا نهملها ولا نفرط فيها.

لماذا يفعل هذا الفلاح ؟

يعجبني في الكاتب المسرحي الفنان / علي الفلاح ، أنه يعمل بوعي ، ويشتغل على نصوصه وفق رؤية تسعى لترسيخ قيم مسرحية حقيقية ، ذات هوية وملمح ليبي أصيل ، يتماهي في الوقت نفسه مع الجهد الإنساني . لماذا يفعل هذا الفلاح ؟ يفعل هذا لأنه ببساطة كاتب مثقف ومطّلع مثابر .. الفلاح بصدد نصوص جديدة .. يقيني أنها ستشكل إضافة حقيقية في الكتابة المسرحية .

ســـــؤال

تجمّع في شهر الفاتح من العام 2001 م أكثر من 1500 فنان وعشرات الفرق الشعبية في مجال الفنون والأغنية التراثية ، وجسّدت اللوحات التعبيرية والألحان المقدمة صورة عن المشهد الفني الشعبي في ليبيا.

السؤال هل تمت الاستفادة من هذا المهرجان من خلال توثيقه ومن ثم تسويقه ، عبر أشرطة مرئية أو أقراص اليكترونية؟!!

تجهـــــم !!

بعض المذيعين يظهرون " تجهماً " حين تقديمهم لبعض البرامج ويبدون مشدودين ، لماذا لا يكونون بسطاء وعفويين ويمكنهم أن يبتسموا دون أن ينال ذلك من وقارهم أو يحدّهم .

مبـــاشـــرة

مازالت (المباشرة) تسيطر على بعض البرامج ما يفقدها حيويتها ومقدرتها على الجذب .

هل يحترق النخيل؟!

تتهامس النخلات في عليائها ، تبث بعضها بعضاً حديثاً ، ربما عن العشق ، أو ربما عن العشّاق ، أو ربما عن العاشقين الذين مرّوا من هنا ، بعد أن تطيبت الأمكنة بطيبهم وشعرهم .. تتهامس النخلات شاهدات العين على الأزمنة الجميلة ، لا تعير انتباهاً لهذا الزعيق ، الذي يخترق جلال سكونها ، مفزعاً طيورها ، زارعاً الرعب في وكناتها ، والفزع في قلوبها الطرية .. تتهامس النخلات في عليائها تواصل نجواها للنجمات ، ولا تتوقف عن بثّ رسائلها للقمر ، تتهامس النخلات الباسقات السامقات التي لا يفهم طباعها " اليانكي " الأحمق الموتور، لا يفهم تاريخها ، وليس لديه القدرة على استيعاب طقسها العلوي ، وصلاتها السرمدية التي حرصت على أدائها في أوقاتها .

متطهرة بماء عذب فرات ، باسطة جذورها في تراب معجون بالمجد والعز والإباء .. وتظل النخلات على وفائها وعلى عليائها وعلى شموخها وعلى كبريائها .

يقول التاريخ أن للنخلات محبين .. وللنخلات شعراء وللنخلات أوفياء .. والنخلات مترفعة ، لا تستجدي مواقف ، النخلات عليّة لا تتوسّل ، وعشاقها يدركون ذلك ، يدركون أنّها كبيرة.. ولا يصحُّ معها إلا السلوك الكبير.. نخلات العراق ستظل شامخة لن ينال منها كل هذا الجنون ؟ ولن تنال منها كلّ هذه

الحرائق التي تجرُّ فطاعتها باتجاهها ؟

هل يفرط العرب في النخيل ؟ هل تنضم النخلة إلى مسلوبات العرب ؟ هل تنضم إلى مقدساتهم المغتصبة ؟ هل يأتي زمن نقول : - النخلة المغتصبة ؟ ونساوم على عدد النخلات ؟

نخلات ما قبل وما بعد .. هل سيرفع أمر النخلات إلى مجلس الأمن ؟

لعل الشعراء يجهزون قصائد ومعلّقات في عشق نخلات العراق.. هذه نكبة جديدة ، نكبة النخلات فلنجهز دموعنا ولنجهز حناجرنا للصياح .

تتهامس النخلات آه يا وجع النخلات ، هل تدهس قاماتك ؟ هل تشعل النيران في عراجينك؟ .

هل تموت النخلات واقفة ؟ لا لن تموت النخلات .

هل ثمة من يذود عن هذه النخلات ؟ هل تلحق النخلات بزيتون حيفا ، وبرتقال يافا .. هل في انتظارنا أيام مريرة .. هل في انتظارنا مزيد من الوجع ؟!

هل ثمة متسع في قلوبنا للقمر ؟ هل ثمة متسعُ لمزيد من الانكسارات ، لمزيد من الهزائم ؟

لا أعتقد أنّـه سيكون بإمكاننا حتى الحزن عليك يا نخلات العراق.

أخـــلاق الممثـــل

الممّثل كـائن جمـيل ، لـه علاقـة بمواسـم الربـيع والإبـداع ، لـه علاقة بالفرح ، له علاقة بالدهشة ، والفجاءة ، والذهول .

المـمثل الحقـيقي " ثـروة قومـية " ، علامـة دالّـة مـن علامـات الأمّـة.. نعـم .. هـو كلّ هـؤلاء وأكـثر .. إنّـه الأقـدر عـلى خلـق تواصلية فـريدة، تتجلّى فـيه قدراتـه وإبداعاتـه ، وتـبرز موهبـته الـتي خصّه بهـا الخالق العظيم .

وعلى مدى تـاريخ الفـن .. برز ممثلون حقيقيون ، استطاعوا أن يؤسسوا لأنفسهم ، وأن يتركوا بصمات واضحة لا يمحوها الزّمن .

وبقدر مـا يبدو هذا المجـال - نقصد التمثيل – متـاحاً ، بقدر ما هـو مسيّج ومحـاط بثوابـت ورواسـخ ، تحـول دون تسـلل المـزيفين ، والمزورين إليه .. حتى لو أنفقوا مال الدنيا .

والممثّل وهكذا مكانته ، وهكذا منزلته ، لابدّ أن يتحلّى بخلق رفـيع ، يليق بهـذه الوضـعية و الصـدارة . فـلا يـتحوّل إلى أفّـاق ، أو إلى مرتـزق أو إلى (همـاز مشـاء بـين الـناس بنمـيم) لا يـتحوّل إلى كـائن بشـع شـرير ، يدنّس شرف هذه المهنة السامية ، حين يطعن في أعراض الـنّـاس ، ويسـتعذب الحديـث عـن خصوصـياتهم ، ولا يـتوانى في التشهير بهم ، والإساءة إليهم ، وطعنهم في الخلف .. هذه سلوكيات لا

تليق بـ" الممثل " ونصرّ على كلمة " الممثل " دون أن نقول " مطلق الفنان " لما قدّمنا به هذا الموضوع .

فالشهرة والنجومية ، التي تُخلع على الممّثل من قبل جمهوره، ترتّب عليه مسؤولية كبيرة ، فهو الأكثر التصاقاً بالناس ، والأكثر تعبيراً عنهم ، وهم لا يبخلون عليه .. لذلك يودّون رؤيته دائماً متسامياً متحلياً بخلق الفن ، ويشمئزون حين يرونه ، في هيئة الدساس الذي يشيع الفتنة ، ويجيّر الأقلام المجّانية ، لتلميعه والتطبيل له ، وكثيرة هذه النماذج في الوسط الفني العربي ، لكنها سرعان ما تنهار ، وينفضح أمرها ، وتتكسر خلفها الأقلام التي خانت شرف الكلمة .

.. كلّنا سنمضي .. وتبقى أعمالنا وحيدةً ، تذود عن نفسها بنفسها ، في مواجهة التاريخ .. الذي لن يتردد في كشفنا جميعاً دونما استثناء ، بعد أن تسقط عنّا الهالات ، والصولجانات ، والحصانات ، وحيدةً ستبقى أعمالنا تذود عن نفسها ، وبقدر دفاعاتها الراسخة ، وبقدر نصاعتها وطهارتها بقدر صمودها .. وفي الختام :

حقل من الفرح لكل ممّثل

يشيع المحبّة بين النّاس

وحقل من التحايا الطازجة

لكل كاتب يصون شرف الكلمة .

أوْقفوا إقصاء الفنون فوراً

الحديث عن الفنون يستدعي " حالة " من الصّفاء والشّفافية والتجلّي ، والعبور مباشرة إلى عالم بهيج قوامه المشاعر والأحاسيس ، والخلق والإبداع ، وإعادة صوغ الأشياء على منوال سحري أثير ، واستعارة لغة الطير ، وتتبع أسراب العصافير ، وإصغاء السمع لبوح جدول نمير ، وارتشاف النور من بسمة فجر غرير ، والتقاط الفوح من شفة العبير ، واغتسال الروح في ماء غدير.

كان لابد من هذه البسطة قبل العبور للحديث مباشرة دونما مواربة ودونما تقليل أو تهويل ، إلى رصد واقع ، يستدعي وقفة سريعة لمراجعة المناهج التعليمية في بلادنا ، خاصة مراحل التعليم الأساسي.

الواضح أنّ هذه المناهج - وقد أسندت مهام إعدادها إلى " موظفين " رسميين يتناوبون عليها ، وقد ظلت حكراً عليهم - قد وقعت أسيرة لأفكار جامدة متقولبة في " صبّات" خراسانية ، تئد حركية الإبداع والابتكار.

هذا الواقع لا يحتاج إلى جهد لاكتشافه ، حسبنا الآلاف الذين " أفرغتهم " هذه " الصبّات " حسبنا روح الابتكار والإبداع التي قبرت فيهم . هناك إقصاء مريع للفنون الجميلة في مناهجنا ، وكيف يكون لها حضور ، ولم يستشار الفنانون في وضعها ، ولم يشاركوا ولم نلمح

اسم فنان بين المعدّين ، فغاب الكلام الجميل عن الموسيقى وعن الفنون التشكيلية ، وعن الفنانين .

هل تصدّقون عدم وجود أيّ موضوع عن الغناء ، وعن الإبداع وعن الموسيقى ، وعن التراث الموسيقى الليبي والإنساني . عن فن النحت ، عن فن الخطّ ، عن التمثيل لماذا تغيب هذه الأشياء .. هذه " المفردات" هي التي تشكّل القريحة والذائقة ، وتكتشف الموهبة مبكراً ، وترسم الطريق أمام الناشئة ، نحو عالم بهيج ..

أحلم بمخيلة " فنان " أستعير فضاءه ، أن أرى في العام الدراسي المقبل مناهج تُعلى قيمة الفنون ، وتستدرك مافاتها ، وتصالح هذه . الطيور الجملية ، . قبل فوات الأوان !!

ولماذا لا تكون مادة منهجية تسمّى " الثقافة العربية " تلبىّ هذه المستهدفات ، وتتدرج مع الطالب بحسب سني عمره ، بداية من روضة الأطفال ؟ !!

دعني أختلف معك بحب

أعلم جيداً صدق نية الأستاذ/ إبراهيم حميدان [1] فيما ذكره عن مجلة "الثقافة العربية" .. ولكنني أعتقد أنَّه قد قسا عليها بعض الشيء ، حين حكم على مرحلة عريضة تمتد على مدى أكثر من خمسة عشر عاماً منذ مطلع الثمانينيات ، أنا لا أنكر الوضع المتميز لمجلة الثقافة العربية في مطلع السبعينيات ، واستقطابها لعدد كبير من الكتّاب العرب ، الذين ظلوا على تواصل مع المجلة حتى فترة طويلة .

ومما حفّز هؤلاء الكُتّاب على التواصل مع المجلة هو - لا شك- انتظامها وشعارها الذي رفعته : ثقافة عربية أصيلة وفكر إنساني متفتح ، وشيء مهم آخر وهو الحافز المادي. فقد كانت المجلة تتولى إيصال مستحقات الكُتّاب إلى بلدانهم وقد أبلغني الأستاذ/ عبد الرازق بوخيط بأنه كان يقوم بذلك بنفسه .. وعند مطلع الثمانينيات لم تستطع المجلة وحسب علمي - تحويل درهم واحد للكتّاب الذين ملّوا من إبلاغنا عن أرقام حساباتهم ، ولم تسوَ مكافآتهم حتى كتابة هذا المقال ، بل لم تسوَ مكافآت الكتّاب في الداخل (**).

---

(1) الأستاذ إبراهيم حميدان هو من الكتّاب المعروفين بالجماهيرية ، كانت له زاوية ثابتة بصحيفة الجماهريّة ، عرض فيها هذا الموضوع.

(**) في العام 2004 بادر مجلس تنمية الإبداع الثقافي بصرف مكافآت الكتّاب عن فترة إصدار المجلة عنه فقط .

ومن الإجحاف - الذي أربو بالأستاذ / إبراهيم عنه - أن نغمط جهد المجلة بعد فترة الثمانينات فقد ظلت وفيه لشعارها رغم كل الظروف التي مرَّت بها : فكانت تقيم كل أسبوع منشطاً ثقافياً مفتوحاً من خلال محاضرة يدعى لإلقائها مبدعون ومفكرون مميزون وقد شارك فيها : د. على فهمي خشيم ، د . محمد محمد المفتي ، د . على الساحلي ، محمد الشلطامي ، جلال الدغيلي ، خليفة الفاخري ، محمد المسلاتي ، سالم العبار ، د. نديم البيطار ، د. عبدالمولى الحرير ، حسين مخلوف ، د. زاهي المغيربي وغيرهم.

قامت المجلة بإعداد كوادر صحفية متخصصة هم الآن ملء السمع والعين : تهاني دربي - زينب شاهين - ليلى النيهوم - سكينة بن عامر - قامت المجلة بإعداد عديد الندوات بالتعاون مع اليونسكو واليونسيف ، وأول من تبنت فكرياً وثقافياً التوجه إلى أفريقيا ، وأقامت أول معرض لرسوم الأطفال على مستوى شمال أفريقيا وبدأت في إصدار سلسلة من الكتب كانت باكورتها : ديوان الفراشة لحسن السوسي ، وكان هناك عديد العناوين المهمة التي جهزت من قبل مركز الدراسات الاستراتيجية الذي كان يضم عدداً من المثقفين والأكاديميين المعروفين .. تصدَّت لكثير من القضايا وفتحت لها ملفات مثل محاربة التطبيع .. ولم تنقطع صلتها بالكتّاب العرب رغم الإمكانات المادية التي ظلت تتضاءل ، إلا أنّ قامات معروفة ظلت على تواصل معها .. أما موضوعة الأسماك .. فالحلقات التي كانت تنشر كان يكتبها القاص المعروف محمد عقيلة العمامي ، وبشكل

أدبي مميز لاقى قبولاً عند القراء ، أما موضوع المجاري فلا أذكر أنه قد نشر شيئاً بهكذا فجاجة ، ربما كان الموضوع علمياً ، وحتى إن اهتزت بعض الأعداد وبعض المواضيع ، لا يمكن أن نغفل دور المجلة التي احتفت بصادق النيهوم عبر عدد خاص واحتفت بالمسرح الليبي عبر أعداد وأعداد واحتفت بالشعر والقصّة .. وظلّ ملفها الشعري ضافياً بأشعار حسن السوسي وراشد الزبير ، وعلى صدقي عبدالقادر وخليفة التليسي وعلى فهمي خشيم والسنوسي حبيب وغيرهم وغيرهم. كذا في مجال القصة احتفت المجلة بكل الأصوات وكانت منبراً للأصوات القصصية الجديدة واحتضنت تجاربهم . وأعدادها تشهد بذلك .

كما تعد المجلة وثيقة مهمة لكل المنجز الإبداعي[1] في فترة الثمانينيات والتسعينيات فقد شرعت أبوابها وصفحاتها لكل الأصوات ولم تكن يوماً شللية أو احتكارية ، بل كانت منبراً لكل الكُتّاب الشرفاء على امتداد الوطن العربي ، بل حتى خارج حدوده . ويكفيها شرفاً أنَّها ظلّت مُحكمة معتمدة رغم توقفها القسري ، ويكفيها شرفاً أيضاً أنها أسهمت في التعريف بأعمال الفنانين التشكيليين الليبيين على مستوى الوطن العربي ، حين تصدرت لوحاتهم أغلفتها الخارجية وصفحاتها الداخلية ..

---

(1) فر عام 2006 سجّلت ثلاث رسائل ماجستير في مجلة الثقافة العربية.

المجد لـ "بوذا"
والحب لـ "هليل"

حين تختلط الأوراق ، وتنقلب الموازين ، وتمشي الأشياء على رؤوسها ، ويسقط بين أيدينا ، وتسقط دفعة واحدة عاصمة بحجم بغداد، حين ينهب التاريخ ويداس بالأقدام ، ولا يجد من ينبس بكلمة حق ..

أين أولئك الذين تباكوا وتصارخوا وتصايحوا من أجل تماثيل بوذا وقامت الدنيا ولم تقعد حتى أنقذت التماثيل .. العالم كله بكى من أجل بوذا والأئمة والعلماء والمشائخ شدّوا الرحال دفاعاً عن بوذا.. حين يحدث كلّ هذا ، وتسقط حتى أوهامنا التي علقنا بها ، ونكتشف أننا سبحنا في بحار متحجرة ، أجرينا فيها زوارقنا وفلكنا ، وأترعنا من أنهار أجاج ، وحلمنا أحلاماً باذخة ، لم تكن سوى محض أكاذيب..

حين نكتشف أننا كنا ننام مع الخديعة ونشرب معها الشاي ، ونأكل معها ونعاشرها ، حين يحدث كلّ هذا ، لابد أن نفزع إلى ملجأ آخر ، حين نمارس الخيانة ضد تاريخ العراق ، ضد نساء العراق ، وضد أطفال العراق ، حين يحدث كل هذا الدمار ، وحين تحاصرنا كلّ هذه النيران ، لابّد من البحث عن ظل ظليل ، لابد من البحث عن شجرة نتفيأها ونخلع على عتباتها أحزاننا الناخرة ، وأوجاعنا الباطنة والظاهرة .

فكان " الشعر" وكان الصديق العريق " هليل البيجو " صديق السنين التي انفرطت ، صديق الزمن الجميل ، زمن تهجي لغة الورد والفل والياسمين ، حين احتضنتنا تلك الروضة الغناء مجلة " الثقافة العربية " في مطلع الثمانينيات ، وكانت شاهد عيان على الحقيقة الأولى واللمسة الأولى والزفرة الأولى .. هليل البيجو ظل وفياً عبر ربع قرن لشعر العمود ، وظل وفياً للمتنبي ووفياً للغة الرصينة ، أميناً على خزائنها وروائعها ..

علميـني الحـب واسـعى في كمـالي
واحمليـني فـوق موجـات الخـيال
وازرعـي الآمـال في صـحراء قلـبي
واجعـلى زهـو الهـوى يـزهو بـبالي

ويقـول :

وقعـي أودى بحـلمي واختـياري
واصـطفاني دون غـيري للضـلال
إنّمـا في الحـب بعـدى واغترابـي
فاذكريـني سـاعةً قـبل الـزوالِ

يقول في " رحيل":

أيـــن مـــني عهـــد حـــبّ قـــد مضـــى

ضـــاع في دنـــيا التجـــني والعـــلل

إن مسحة من الحزن تلفّ أشعار " هليل البيجو " ، وهي التي تحدد ملامح الصورة الشعرية لديه ، ويستدعي مفرداتها وجرسها الموسيقى .. إن أهم ما يميز التجربة الشعرية لدى " هليل " هو وفاؤه الكبير لاشتراطات " القصيدة العربية " ، وفي رأيي باستطاعة هذا الشاعر أن يطوّر بشكل أكبر من نصّه ، وأن يخرج به إلى آفاق أرحب وأن يطرق عديد المواضيع ، وهو لاشك لديه القدرة على إنجاز ذلك .

مَنْ يقتلُ الحقيقة ؟!!

منذ بدء الخليقة كانت " الحقيقة " هي ضالة الإنسان التي يبحث عنها ، هي شغله الشاغل ، هي الهاجس الذي ما انفكّ يلاحقه ويطارده ، ويقضّ عليه مضاجعه . كان التاريخ جميلاً ونبيلاً ونزيهاً ، حين أفرد صفحاته للحقيقة فقط ، ولا لشيء سوى الحقيقة ، على الرغم من كثرة المزوّرين ، والمزيفين ، والأفاّقين ، إلا أنها ظلت " المنارة" التي ينشدها المحبون الحقيقيون .

وكانت الرسالات إحدى الأشرع القوية التي عملت على هدي الإنسان إلى الحقيقة ، كل ما في الرسالات دعوة إلى تبني " الحقيقة " الله العظيم نفسه " حق" و" حقيقة .. لذا كانت دعوته إلى عشق الحقيقة إلى الذود عن الحقيقة .. على الرغم من جرأتها وربما قسوتها، لكنها لم تصادر ولم تسفّه ، ولم يسحل أو يقتل أصحابها.

لماذا نقول هذا ؟ نقول هذا لأننا في هذا المجال الصحفي الذي نحب ، هذا المجال النبيل ، حين يمارس بنزاهة ، نكدح لملامسة " الحقيقة " التي أُمّنا عليها ، وهي فرض (عين) يجب أن يمارس في وقته دون تأجيل ودون مماطلة ..

نحن في هذا المجال مؤمّنون على قول الحقيقة لا قول الزّيف لأنّ هذا رذيلة ونقيصة ومثلبة .

لكن للأسف الشديد هناك من يضع العثرات أمام " الحقيقة " ويعمل على دفنها ولا ندري لصالح مَنْ ، ومحاباة لمن.

حين يُعَدُّ استطلاعاً يكشف عن سلبيات حقيقية ، لصالح مَنْ حجبه ومنعه من النشر ، حين يكون هناك مقال يفضح سلوكاً لشخص أو لمؤسسة مَنْ يجرؤ على منعه وإلى متى تظل " الحقيقة " رهينة بأمزجة وترتيبات ومعادلات المسؤولين عن النشر أو التحرير ؟

مَنْ يملك مصادرة صرخة مواطن تمت المؤامرة على حلمه ، أو استغاثة مواطن سُرق أمله . مَنْ يجرؤ على تكميم أفواه " الحقيقة".

الحقيقة واحدة ناصعة وإلا فليصدر منشور بمواصفات "الحقيقة" القابلة للنشر وللتداول ، حينها لا نفقد مصداقيتنا مع الآخرين الذين أطلعونا على حلمهم وجرحهم ووعدناهم بأن نعلن صرخاتهم على الملأ لأننا من المفترض أن لا نجامل أو نداهن حكومة نخشى من بطشها ولا نماري حزباً يسيطر على الصحف ويملك المصادرة ونعمل على نجاحه في مهزلة الانتخابات . إذن لصالح مَنْ مصادرة " الحقيقة " ومصادرة كلام النّاس ، بجرّة قلم يتمّ المنع.

دعوا " الحقيقة " تسطع ولا تجعلوا التاريخ يسجل أنّكم صادرتموها ولاحقتموها كونوا حقيقيين وأحبوا الحقيقة وهيّئوا لها المناخ لتزدهر وتزدهي .

جليل خزعل .. شاعر يتشظّى

وقصائد منقوعة في الدّم

التقيته في بنغازي ، كان ضمن وفد العراق المشارك في المؤتمر العام لاتّحاد الأدباء والكُتّاب العرب ، الذي انتظم العام الفائت [1].. أدخلني مباشرة إلى كونه الشعري ، حين أهداني ديوانه " خريف الأصحاب " ضمن السلسلة الشعرية (ثقافة ضد الحصار) التي تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة بالعراق مصدرة لها بأنها تعتمد على نتاجات الشعراء والقصّاصين الشباب من الذين حجّم الحصار اللئيم الغادر تطلعاتهم في النشر ، وفي إطلاق أصواتهم المعبّرة عن هموم الوطن ومستقبله ووجوده ، وعن مضامين الذّات واستشراف سعادتها وحزنها .

جلسة طويلة جمعتني وجليل ، مكّنتني من أن أجوس في مسارب حزنه ، وأن ألمس هسيس جراحه ، وأن أُلفح باستعاردمه ، وأن أرى نخل العراق يصوغ قصائده ، ويهيىء عراجينه للصمود وللغناء.. كان الوقت بيننا وقتاً من " المصارحة " وقتاً من "المجارحة".

وكيف لا وهذا الشاعر محاصر من الجرح ، إلى الجرح ، يلهد

---

(1) المؤتمر العاشر لاتحاد الأدباء والكتّاب العرب المنعقد في بنغازي في ربيع عام 2001ف.

خلف أوراق ، هي كل ما تبقى له ، يفترسها ، يشمّها ، يتحسّسها ، هي بعض منه ، أو ربما هي كله ، أو ربما هي نزفه ، وربما هي مبعثه وحتفه.

جليل لم يمدّ لي ديوانه فقط ، وياليته فعل واكتفى ، لكنه مدّ لي حزن وطن بأسره ، ومضى لكّن زوبعات خريفه ، لم تفتأ تمارس زعيقها المدبّب بأسنة الألم الأبدي ..

" خريف الأصحاب " هو الاسم الذي أطلقه جليل على ديوانه الصغير الذي يداني خمسين صفحة ، محتضناً تسع عشرة قصيدة .. وعنوان الديوان ، وعناوين النصوص كافة ، تشي بحالة الفقد والنزع والسلب التي تسيطر على المشهد الإبداعي العراقيِ ، نتيجة طبيعية للظروف القاسية التي ضغطت عليه وحاصرته.

" جليل خزعل" أحد هؤلاء الشعراء الشباب الذين وُلدت قصائدهم في أتون الحزن والأسى والقهر ، فاستشاطت برائحة البارود والرصاص ، ونعيب المدافع وصراخ الطائرات المجنونة ، فولِدت قصائد منقوعة في الدم :-

ومن أين أمسك جرحي

تذكّرت نار الحروب

عَبَرنا حقولاً مشفرة والأسنّة

كانت تلامس أنفاسنا

تركنا هناك

قصائد " منقوعة بالدماء"

قشرة تتشقّق تحت أقدامنا

ذكرياتي أحفرها من مقابر

ذاكرتي الموحشة

دون أن يتطاير منها الغبار

كم يطول الحصار ؟

هكذا يقول جليل نفسه ، وهكذا تأتي القصيدة ناعية نفسها ، متشّكلة في مهدها ، متشكّلة في لحدها ، تأتي ناسجة نشيدها الجنائزي ، مبكرة في النحيب ، وفي الشيخوخة :-

كم أنا واهم بهذا الخريف المحايد

وهذا الرداء الرماد

قريباً ستخلعه العاصفة

عظامي ترتجف

أشجاري متجمّدة

لم يكن بوسع هذا الشاعر إلا هذا النشيج ، وهذا الكلام المعجون بالحرقة .. فهل ثمة متسع في قلبك يا جليل لهذا الخريف الذي يزج عواصفه وشياطينه باتجاهك ؟

هل ثمة متسع في قلبك ؟ آه كم أخشى عليك يا صديقي البعيد من هذا الخريف الآتي ، لا تكترث يا جليل فلن تكون وحدك في انتظار الخريف !![1]

(1) كُتب هذا المقال قبل احتلال العراق .

من يرسّخ الفشل ؟

تقول ذاكرة التاريخ ، وتقول ذاكرة الفن على وجه الخصوص ، إن الطريق إلى النجاح ليس سهلاً ، وليس ممهداً ، وإن بلوغ هذه الغاية العظيمة ، يحتاج إلى بذل المزيد من العرق ، ويحتاج المزيد من الصبر والمثابرة .

فالفن محراب عظيم لا يرتضى عن الصدق بديلا ، الفن محراب عظيم ، مسيّج بسياج غير مرئي ، لكنه حصين ، على الرغم من كل محاولات الأفاقين والمزورين والمزيفين ، الذين قد يجرؤون على انتهاك حُرمته ، لكنه سرعان ما يلفظهم ويفضحهم ويطردهم غير مأسوف عليهم .

“ 2 ”

شيء عجيب يحدث هذه الأيام في عالم الفن ، شيء لا علاقة له بالفن ، وليس له سابقة من قبل ، الشيء العجيب والمرير في الوقت نفسه هو ما يحدث الآن .. وهو أن الفشل يصبح أقصر طريق إلى النجاح ، الفشل بكل ما يحمل من إحباط ومن تدن ومن بهتان ، يهيئ لصاحبه سبل النجاح ويجعل منه نجماً ، تتهافت عليه الصحف وتتهافت عليه الفضائيات ويصدق هذه الكذبة .. وتكبر المسألة في رأسه .. حتى لا يكون كلامنا عائماً فإنني أضرب مثالاً بجل المطربين والمطربات الذين يطالعوننا عبر الفضائيات ولا يملكون أدنى مقومات الطرب ، ومع ذلك ينشرون ويحققون مكاسب وهم لا يملكون إلا مقومات الفشل ، وكبيرهم

في ذلك (شعبان) هو مثل صارخ على الفشل ، ومع ذلك يحقق الذيوع تلو الذيوع وكلما أمعن في الفشل كلما ذاع صيته .

شيء عجيب ، شيء مرير..

لقد صرح أحد النقاد المعروفين حين سُئل عن سر (نجاح) شريط " اللمبى " كانت إجابته .. السبب هو أن هذا الشريط هابط ولا يقدم شيئاً .. من المسؤول عن هذه المعايير المغلوطة ؟ من المسؤول عن ترسيخ قيم الفشل ؟

والإلحاح على فرض الردئ .. والسيئ ؟

مسألة خطيرة تحتاج إلى طول نظر ، وإلى تحليل .. حتى لا يصبح الفاشلون هم السائدين .

" 3 "

يظل الفنان كائناً جميلاً ، له علاقة بالنبل وبالوفاء ، الفنان والناقد المسرحي المعروف " محمد مفتاح بوشعالة "[1] مارس هذا الطقس الجميل ، وعلى الرغم من حالته الصحية عاودني في وعكتي .. كان لمعاودته مذاق خاص ، ونزلت مني منزلاً طيباً .. هذا هو الفن يبذر فينا بذرة الخير.. نحكي عن الفن الحقيقي ، الفن الذي يبعث صاحبه في عليين .

---

(1) الكاتب والفنان المسرحي / محمد مفتاح بوشعالة .. رحل عن عالمنا ، بعد مرض أقعده طويلاً ، في شهر الفاتح 2004ف.

من كتم صوت كاظم؟!! [1]

كان يمكن لكل الأشياء أن تصمت كان يمكن لحزمة الأحلام أن تتطاير مع الأوراق التي تطايرت .

وكان - يمكن للوعود التي نحتّها أنا وتلك المرأة .. (زينب) التي نزعت بعضاً من ضلوعها وأسكنتنا محلها ، ووزعتنا على غرف القلب ، كان يمكِن لكل الوعود أن تدهس مع الكلمات التي دُهست ..

يا الله كم نبالغ في الحلم .

وكم نغالى في حشد الأمنيات .

وكم نراهن على هذا " الهيكل " الذي كنت شاهد عيان على ضعفه أمام تلك الصدمة التي أفرغت ذعرها دفعة واحدة ، وكتمت صوت كاظم وهو يغرد:

يدك التي حطّت على كتفي

كحمامة نزلت لكي تشرب

عندي تساوي ألف أغنية

---

(1) كُتب هذا المقال .. إثر حادث سير خطير تعرّض له الكاتب وكاد يودي بحياته لولا لطف الله ورحمته حدث هذا في شهر الربيع مارس 2003.

يا ليتها تبقى ولا تذهب

تذكرت وأنا أرتطم بالأرض تلك العصافير التي تنتظرني ، مبللة بالمطر ، تفتش عن أبيها وسط الزحام ، وحين يأتيها ، تشرع مناقيرها في الغناء ، تفك إسار صمتها ، وتدسّ رغباتها في جيبه ، رغبات معلقة ، ورغبات جديدة .

ليست كل الدقائق لنا ، وليست كل الأحلام لنا وليست كل المواعيد لنا .

أشياء كثيرة كثيرة معجونة بالحلم ، معجونة بالدم ، معجونة بالدمع ، معجونة بالعرق ، وربما بالحزن ، وربما بالوجع.

أشياء كثيرة ، خبّأتها في زوايا القلب السحيقة أخفيتها عن العصافير ، ولم أطلع عليها سوى نجمات بعيدة ، بعثرتها على أجنحتها ، لم أطلع عليها سوى مويجات سحيقة ، أفسحت لها في ثنياتها مكاناً .

أشياء كثيرة انفرطت فوق الجسر ، لم يكن بوسعي لملمتها جميعاً، أشياء كثيرة انفرطت ، وغمامات حزينة تهشمت على تخوم عيني .

لحظة مدعوكة بالفزع ، جاءت ترمي بحجرها تلك القوارير الصغيرة ، التي أمّنا عليها العصافير ، بها بضعة أمنيات.

وزعنا عليها بالتساوي نبضات القلب ، لحظة مسكونة بالفجيعة.

جاءت تقلع بمنجلها الآثم نبتات نضرة ، لم تزاحم أحداً .

على حياء تنمو، على حياء تبث حلمها الصغير.

لحظة مسكونة بالرعب جاءت تطفئ وهج نجيمات تفرش نورها في سكينة.

مازال في القلب متسع لحنطة الحلم، مازال في القلب متسع لهطول النور.. ولكل الرغبات المخبوءة في جراب الروح.

الدهسة على قسوتها لم تنل من قوارير العصافير.

الدهسة على قسوتها لم تفلح في إسكات الحلم.. لم تفلح في سرقة النور من عيني " شهد " وهي تلقي بجسمها النحيف بين يدي أبيها المنهك.

وسام يهزم "الغول"[1]

"وسام" الذي يستريح بين يديّ الآن ، يبتسم ابتسامة شاحبة ، بعينين صغيرتين ، بريقها خافت ، " وسام " جميل إلى حدّ الوجع ، وإلى حدّ الألم الذي يسكنه ويحكم قبضته عليه .

يهزأ وسام من هذا " الغول " الذي تسرّب إلى قلبه ، يشدّه من أذنيه ، ويجرجره على الطريق ، يجعله أضحوكة ، ويشهر في وجهه شقاوته وشيطنته ، فيهرب منهزماً.

***

دامية هي الحروف التي تلامس جرحك .

معفّرة بالفجيعة هي الكلمات التي تصافح حلمك المسكين..

حلمك المحاصر بالموت ، بالموت الغبي .. الموسوم بانتهاك حرمة الأعمار الخضراء .. وسام حقل من الدهشة ، الدهشة التي تخرج لسانها للكارثة ، ولا تعبأ بدقات طبولها..

هذا الذي يستريح بين يديّ يذكرني بـ " حنين " التي احترقتُ عليها دمعاً وأنا أودّعها ، وهي تتشبث بي ، بعد أن شاع ضجيجها

---

(1) " وسام " أحد أطفال مدينة بنغازي الذين حُقنوا غيلة بمرض نقص المناعة الإيدز عام 1998 م.

البديع وفوضاها المتعة في أرجاء المكان ، معلنة بصوت متهدج ، كذب الذي يُشاع عن دمها ، كذب كل الذي يقال عن رحيلها المبكر ، وعن ذبولها وانطفاء حيويتها.

أخلع تعبي على تعبك وأطوى جرحي على جرحك وأُصل ناري بنارك ، وأشيح وجهي حين تدهمني انطفاءة وجهك ، أُعطّل سمعي ، حين يضبح ألمك ..

أيّها الصغير لا يمكن أن أنصحك بالصبر الذي لا تعرفه.

ولا يمكن أن تطيق مرارته التي نضيق بها نحن الكبار ، ولا يمكن أن أحدثك عن الحكمة ، التي تتكسر عند أعتاب روحك الذابلة، والتي نحتمي بها حين تصدمنا الفجائع ويموت الكلام على شفاهنا.

أيها الصغير .. ثمة نهارات كثيرة في انتظارك ثمة مساءات كثيرة .. لا تصدّق ما يشاع عن دمك .. لا تصدّق ما يرجفون به ..

فقط صدّق ما همست به لك " شهد" حين أهدتك هدية استقطعتها من مصروفها أتذكر ماذا قالته لك : (يا جاري العزيز عقبال مئة سنة) فصدّقها ولا تصدّق كل ما يشاع عن الرحيل المبكر.

بين المالكي والفلاح

حين يكون الحديث عن المسرح الليبي حديثاً علمياً ، بمسؤولية وحرص ورغبة في التأصيل والتطوير في آن ، بعيداً عن التطبيل والتفخيم ، وبعيداً أيضاً عن تكسير المجاديف ، تشعر بنشوة كبيرة وأنت تتابع تفاصيل مثل هذا الحديث ، الذي جاء تواصلاً لممارسة نقدية مسؤولية ، نشرت على حلقات في صحيفة الجماهيرية وتناول فيها الكاتب محمد المالكي العمل المسرحي الذي أعدّه الكاتب المسرحي علي الفلاح عن قصيدة " لا تصالح " للشاعر أمل دنقل ، وتمت المشاركة به في مهرجان المسرح التجريبي الذي أُقيم بمدينة البيضاء ، ونال جائزة الجمهور.

وبروح النقد الجاد أبدى المالكي جملة من الملاحظات ، ورصد عدداً من النقاط المهمة ، التي صادفت أذناً مصغية لدى الكاتب المسرحي المثقف - كما أحب أن دعوه - ولم يركب رأسه ولم يعاند ، وكان ثمة تلاق جميل بين الناقد وبين الكاتب . وهذا التلاقي هو أساس العملية الإبداعية برمتها .

هذا التلاقي الذي يتم عبر اختلاف أحياناً - في وجهة نظر ، وأحيانا عبر رؤى متباينة ، لكنه يحدث ، بمعنى لا يتم نسفه ، هو تلاقي التلاقي وتلاقي الخلاف ، هو الإيمان بمهمة النقد ، النقد

الحقيقي ، الذي تتحدد هويته وتتجذر من خلال ممارساته الأصيلة ، وليس النقد (المُفبرك) الذي يبتسر ممارسات نقدية سابقة عن كتب مترجمة ، ويلصق بها نماذج إبداعية عربية ، بعد أن يحل النص العربي محل النص الأجنبي بنقل حرفي للجمل النقدية . أعجبني هذا الحديث الذي عرّج على المشهد المسرحي الليبي بشكل عام ، واكتشفت مدى الإشكالية التي تقع بين المؤلف وبين المخرج وكيف أن المخرج قد ينسف عمل المؤلف ، وقد يشوهه ويسئ إليه .

إنّ العمل النقدي المبني على أسس علمية سليمة ، والمنطلق من ذائقة متمرسة مطّلعة هو قاطع أصيل في نسيج العملية الإبداعية، ومن دونه لا يمكن لهذه العملية أن تتطور وأن تلتفت إلى أخطائها فتتجاوزها ، وتنتبه إلى إيجابياتها فتعمل على ترسيخها .

أما القراءات المستعجلة المجاملاتية التي تضرّ ولا تنفع ، تضلل ولا تهدي ، فإن المبدع الحقيقي لا ينتبه إليها ، حتى وإن أفرطت في تضخيمه والثناء عليه ، وإتحافه بصيغ أفعل التفضيل كلها (أعظم - أروع - أبدع - أحسن) .

وهذا ما أكده الكاتب المسرحي الفنان علي الفلاح ، حين قال أنا لا أنتبه إلى الجمل الرنانة والفخمة " الجمل الديوانية الفرمانتية " ولا تغريني ولا أقع في شراكها .. إنما أقف طويلاً أمام التناول النقدي الرصين ، وأعتبره مؤشراً حقيقياً ، وراصداً مهماً لما أقدّمه من نتاج مسرحي ، أزعم أنني حريص على تطويره وتعميقه.

مــوت شــاعر

إلى القادم الأزلي / عبد الوهاب البياتي

" كنت أنام في الفترة الأخيرة قرابة الـ" 40" ساعة متواصلة ، وحين أستيقظ أشعر أنني لم أنم ساعة واحدة .. كنت أجد نفسي في مدينة الموتى .. مدينة صفراء مبنية على مدرج يشبه المدرج الروماني للمسرح .. أحاول أن أعثر على نبتة ، على إنسان على طائر .. فلا أجد لهم أثراً ".

البياتي

موت شاعر يعني نكوصاً

موت مبرر بزوغ الشمس .. وظهور القمر ، ومجيء الربيع ، والتقاء العاشقين .. هذا تفجر للعبث ، واندلاع للفوضى المقيتة ، وتخلخل للناموس ، ودعس لأكداس من الليلك والزنبق ، وخرق لرواق الشفافية ، وتعدٍ على روح شاعر .. موت شاعر يعني فقدنا لبوح استثنائي وتفريطنا في سر من أسرار الخلود .

تبعتك في حوار أخير .. وحين تسللت العدسة إلى أصابعك كان ثمة "سيجارة" تلفظ أنفاسها الأخيرة .. كان ثمة رماد يسفح نفسه في المطفأة الملقاة على مرمى نبضة من قلبك .. عاودت العدسة طوافها وكأنها تمعن في رصد رمادٍ هو رمادك وفناء هو فناؤك .. أكنت تنفث

هباء سيجارتك أم هباء روحك؟

أكان قلبك ذاك المُعنّى المستلقي وجعاً بين أصابعك ؟

وأي مدينة للجدب تلك ؟ أيُّ مدينة صفراء تلك التي هيّأت نفسها وفجّرت دفعة واحدة في وجهك طقسها .. وأشعلت قناديلها المعتمة ، وانطرحت أمامك ، أنثى بمذاق مغاير ، أنثى لم تكتبها يا بياتي .. سوف تكتبك وسوف تنزاح إليها ، سوف تُسلم روحك العنيدة لها ، سوف تنشدك وأنت تمارس صمتاً على غير عادتك .. ستمتد يدها وتطفئ قنديلك وتغرس اشتعالها في أرجائك .. تروحان معاً في جلال مهيب .. نحو دمار جليل .. بغنج أنثى ملهاتها الخراب ، تشمخ قبة شاهقة مجللة بالغياب.. وعلى مقربة منك تقيم تلك الأنثى.. التي ظلت تغار عليك ، وأنت تدلق رواءك على الحسان ؛ فيزددن حسناً ، وترضّع أجسادهن بذهب القصيدة ، فيتحولن إلى كائنات معجونة بالنور والاشتهاء .. على مقربة منك تقيم قداسها ، تشعل أبخرتها ، تنجز صلواتها ، وتسرد جهراً قصائدك ، حينها تندلع مواسم من الوفرة ، تتكدس غمامات مسماة بأسمائك ، مُشكّلة بكلماتك ، تمعن الأنثى في تلاوتك ، يمعن الكون في الاخضرار .

حين يموت شاعر ماذا يتبقى ؟ ولمن يتزين الكون في غيابه ؟ ولمن تفرش الشمس دفئها ؟ ولمن يرسل القمر ذوبه ؟ الطير لحنه ؟ لمن يبرح الزهو مكانه ليستلقى في قلب شاعر ؟ ماذا يتبقى حين يموت شاعر ؟

***

" في قصيدة الكابوس " أصوّر مطاردة بين شبح يطارد المثقفين والكتّاب إلى المنافي ، أو يرسلهم إلى القبور أو السجون ، وعندما لا يجد أحداً. هذا المطارد الرجل المجهول يصاب بخيبة أمل جديدة ، هذه حالة إنسانية تعبر ، مثلما يعبر الزمن في الساعة الرملية ، هذه مطاردة الإنسان ، سواء في الحلم أم في الواقع ، مطاردة الزمن ، مطاردة الكلمة، مطاردة الكتاب ، الإنسان حبيس سجون كثيرة في حياته .. إذا كان أبو العلاء المعري وصف سجونه بأنها ثلاثة ، فإن سجون الإنسان المعاصر تتعدّى المائة و الألف " .

البياتي

الشعراء لا يموتون :

هؤلاء المنفلتون من ساعة الزمن الرملية ، من قبضة العتمة ، من ربقة العجز ، من تراتبية الوقت المتسربل بعقاربه الصدئة ، هؤلاء المغرمون بتهشيم بيوت الزجاج ، وفضح الكهنة وجرّهم على الطرقات ، المولعون بمشاكسة الأشباح وإفشال مهماتهم السرية ، المطهرون بالحنطة والزيتون والطمى ، الذين لا يخلعون نعالهم لأنهم لا يطأون أرضاً / رجساً ، المكتظون برغبة الهتك ، بأنامل استعارت نعومتها زهرة " الأوركيد " وارتدت ملمسها زهرة القطيفة ، وترصّفت ببياضها زنبقة الثلج ، المتواصلون مع المدد الأوّلى ، حيث ينثر الله في باحات قلوبهم أسراره ، ويغادرالفيض متجهاً إلى أكواخهم ، مرتدياً نورهم ، مصغياً إلى تراتيلهم ، محمولاً هذه المرة على عرش من شعر

ومحاط بالشعراء .

" الشعر هو المنقذ .. أنا أعتقد أن منقذ الإنسانية ليس الأيديولوجيات والسياسة ، بل الشعر والموسيقى ، الفنون ، عندما تصبح الفنون طعام كل الناس ، سيختفي كثيرٍ من الألم الإنساني ، والشعر "

البياتي

حين يموت شاعر ماذا يتبقى ؟ ومَنْ ذا يمنحنا تذاكر لمرافئ أخرى ؟ من ذا يقودونا من أيدينا مباشرة إلى ما وراء الوقت المتسع بعقاربه السامة ؟

حيث يفتح لنا مدائنه الأسطورية و يطلعنا على وهج الأنفاس في بكارتها ، على ألق الأحاسيس في طراوتها ، على القمر وهو منهمك في التأنق للقاء محبوبته ، على الربيع وهو يفرد سلة من سلاله لمحبوبة لا يعرفها أحد سواه .

" أشعر أنني اقترب من شيء .. من شيء جديد لا أعرفه ، ليس مدينة الموت ، شيء سأعرفه حينما أصل إليه "

البياتي

هذه نبوءة شاعر .. قالها في لقاء أخير .. بأنه يلامس الاقتراب .. بعد رحلة المنافي والعذاب .. يلامس الاقتراب من شيء جديد .. لم يذكره ..لأنه لا يعرفه لكنه كان هاجسه " الاقتراب من شيء جديد " ليس الموت ولا ينبغي لأحد الآن أن يزعم أن البياتي ذهب إلى مدينة

الموت .. فهذه نبوءته .. وقد " اقترب " الآن و" عرف " حينما " وصل " .

" المؤسف الآن أن الذين يقتاتون على الشعر وعلى الموسيقى ، هم قلة ، وأحلم أن يصبحوا أكثرية في المستقبل ، لكي ينتصر الإنسان على الشر وعلى الظلم ويصل إلى فضاء الحرية الحقيقي " .

البياتي

لا أستطيع أن أجرح نبوءتك لا أستطيع أن أنعيك ، فالنّعي مرسوم وبائي ، يعلن هزيمتنا أمام الموت ، أنت يابياتي لم تذكر أنك ذاهب للموت ولا للمدينة الصفراء ، لقد ذكرت أنك ماضٍ إلى مكان جديد ، آسف لم يكن مضياً كان اقتراباً عبر عمر من الشعرٍ.. سنوات أشعلتها حباو عشقاً وفرادة ، فتمكنت من شق مسار آخر نحو الاقتراب وكان في انتظارك النّبيون . [1]

(1) آخر حوار أذيع مع الشاعر الكبير عبدالوهاب البياتي بإحدى الفضائيات في الأسبوع الأول من شهر هنيبال - أغسطس 1999ف.

"الفيديو كليب" الناطق الرسمي باسم العرب

ثمة فترات من التاريخ .. ليست من التاريخ في شَيء ..

وكل الأمم عرضة لهذه الفترات ..

والفنون لفرط نقاوتها وحساسيتها ، سرعان ما تتأثر بهذه الفترات ، وتترك فيها ندوباً عميقة ، فتكون مرآة تعكس تفاصيل تلك المراحل التي ترزأ تحت نيرها الشعوب ..

يحدث هذا للمسرح .. للشعر للموسيقى .. للطرب .. للرياضة أيضاً كفن من الفنون .

ما يجري الآن على الساحة الغنائية العربية يفوح بهذا .. واسألوا " الفيديو كليب " ملخص حالة العرب .. نساء ورجال من دون ملامح .

أصوات بدون هوية .. موسيقى بدون جذور كلمات بلا معنى ..

هذا هو " الفيديو كليب " الناطق الرسمي باسم العرب ..

نساء ورجال في حالة صرع حركات بلهاء .. زعيق .. جلبة...

مسوخ تتحرك والفتيات المدهوسات تحت عجلات العوز والفاقة .. يجبرن على هذه الممارسات العلنية المخبولة .. لا شيء يهم عند هذه الشركات المنتجة .. لا شيء يهم سوى الكسب .. المهم حشد

أكبر عدد من الفتيات المسّخات المسلّعات والزجّ بهن في إطار من الهلوسة يتلوين مثل الأفاعي .. ورجال ينتفضون كمن لسعته عقرب .

وعلى الرغم من هذا الضجيج وهذا العبث المقصود .. وهذا الإفساد المتعمد .. تسطع الأغنية الليبية الأصيلة الأغنية التي انحازت للقيم .. انحازت للجذور ، انحازت للمعاني النبيلة ، وعبرّت عنها بشكل رفيع ..

لا ترخصّ فيه ولا ابتذال.

فتحية إلى المبدعين الليبيين الذين لم ينحرفوا ولم يضلوا ولم يضللوا ..

بل ظلوا على وفائهم لكل الأشياء الجميلة التي تجسد وتشكل ماهية هذا الوطن الذي نحب .

تحيةً للكلمة التي ما برحت طميها ..

وتحيةً للحن الذي لم يغادر فُلكه ..

وتحية للصوت الذي لم يكذب نفسه ، ولم يكذب الآخرين.

دعوة مُلحة لتغيير هذا المنهج

لعلني في حلّ من تدبيج مقدّمة عصماء، حول الدور الكبير الذي يمكن أن تنهض به المناهج التعليمية في تشكيل الملامح الثقافية للناشئة، حيث تتيح نضارتهم وخصوبتهم ورغبتهم في التعلّم والتزوّد من مناهل المعرفة، فرصة ذهبية، لتحقيق هذه المهمة، وهي غرس حبّ الثقافة وعشق المعرفة في النفوس، التي لتوها شرعت شروعاً حقيقياً في تلمّس دروبها نحو الكشف والحقيقة.

ولن أكون منحازاً إذا ما قلت إن منهجي اللغة العربية والتربية الإسلامية، يمكن لهما تأدية رسالة جليلة، في ترسيخ سلوكيات ثقافية معرفية أصيلة لدى هؤلاء الناشئة في مقتبل أعمارهم.

وفي كل عام نتوقع تغييراً جذرياً في هذين المنهجين على الأقل - اللغة العربية والتربية الإسلامية - إلا أننا نفاجئ أن هذا التغيير لا يقع، وإن وقع فإنما يقع على حياء، ولا يكاد يحس، بينما الجهد يصبّ على الشكل، وعلى الطباعة، مع أن الصور الإيضاحية، هي صور بائسة. فالموضوعات جلها مستهلك ومكرر، ولا يرقى أسلوب عرضها إلى التطور المتعاظم، الذي أدركه هؤلاء الطلاب، من خلال احتكاكهم المباشر بأجهزة الحاسوب، وأجهزة الترفيه الذكائية المتطورة، وتتبعهم لسيل جارف من المعارف والعلوم عبر الفضائيات.

الأمر الذي أحدث هوة بين الطالب وبين المنهج . فالطالب متجاوز لهذا المنهج ، الذي لم ينجح في خلق علاقة حبيّة معه ، لم يستطع تلبية حاجاته الملحة في معلومات أكثر عن الفضاء ، عن الانترنت ، عن الحاسوب ، عن الرياضة بأنواعها ، عن الفنون التشكيلية ، عن الموسيقا ، عن آفات التدخين والتعاطي والأمراض الفتاكة .

طالب اليوم ليس بحاجة إلى هذا المنهج التلقيني الجامد هو بحاجة إلى منهج حواري استفزازي ، يجعله طرفاً أساسياً في هذه العملية التعليمية وليس (شريط تسجيل) يُعبأ ثم يفرّغ .

إن هذا الكلام من واقع احتكاك مباشر بهذه المناهج وبإمكانكم أن تطّلعوا - كنموذج - على منهج المطالعة للصف التاسع.. ستطالع مواضيع أقل ما توصف به إنها مواضيع بائسة مثل موضوع (الحمامة المطوقة) الذي لا يرقى إلى عقل طالب يقوم بتشغيل (الحاسوب وألعاب الذكاء عبر أجهزة معقدة) ويطالع برامج مرئية غاية في التطور واحترام عقلية المتلقي ، إضافة إلى الرسوم المتحركة التي شهدت طفرة في التطور شكلاً ومضمونا ، بمعزل عن (فوبيا) الغزو الثقافي ونظرية المؤامرة ..

موضوع الحمامة المطوقة قد وأقول (قد) يصلح لطلبة في روضة ، ناهيك عن بقية المواضيع والنماذج الأدبية الضعيفة مثل قصة (السبب) والمواضيع الفكرية المغرقة في مصطلحات ومعالجات معقدة. ويبدو أن هذه الكتب أو على الأقل - حتى لا

تتجنى على أحد - كتاب القراءة للصف التاسع لا يخضع لأية مراجعة عند إعادة طباعته ، بدليل وجود أسئلة في منهج النحو لا وجود لدرس لها في المنهج المقرر ، إنما هي أسئلة لدروس ملغاة من فترة طويلة .. يبدو أنني أطلت لكن الموضوع بحاجة إلى وقفة وإلى ضرورة إعادة النظر في هذه المناهج[1].

---

(1) في العام الدراسي اللاحق لهذا المقال 2003 - 2004 ، تم تغيير منهج القراءة للصف التاسع وروعي فيه كثير مما ورد في هذا المقال ، من خلال إثبات العديد من المواضيع العلمية .

عجلة الوقت الشرسة

حينما نفقد أحد الذين تقاسمنا معهم بعضاً من هذا العمر، حينما نفقد وجوههم، ونفقد دفئهم، حين ينطفئ بريق أعينهم فجأة تسكت كلماتهم دونما تمهيد. تفرغ الدنيا، ينشب الخواء أظفاره في حشاشة الروح الشفيفة. حينما نفقد أحد الذين، رتّبنا وإياهم زمناً على قدر فوضانا وعلى قدر شغفنا ونزقنا، على قدر جنوننا، وأفشينا لهم السر، وأطلعناهم على خفايانا، ننكسر، تضربنا سياط الصقيع.. تهرب منّا الحكمة، نفزع إلى الله، نسأله السكينة، نسأله في خجل. لماذا يرحلون؟!!

لماذا يصيب العطب هذه المشاعر اللطيفة والشفيفة ؟

لماذا تزمجر فوق صدروهم هذه الغيلان الشرسة ؟. نسأل الله في خجل: لماذا يرحلون دون أن يكملوا ضحكاتهم.. دون أن يكملوا الحلم؟

حينما نفقد أحد الذين راهنّا وإياهم على الشعر وعلى الحب وعلى العشق، راهنّا وإياهم على الحرية وعلى العلانية وعلى الجهر، وعلى المشاكسة والمشاغبة والمقاتلة وظهورنا إلى الحائط.

حينما نفقدهم، تسقط أشياء كثيرة كثيرة، نشك في تلك الأعضاء التي نطوي عليها ضلوعنا، هذه الأعضاء التي تضمر العطب، والخذلان والفشل، ونسكنها آمالاً بحجم الدنيا، أحلاماً بحجم الكون.

نضرب مواعيد على صفحة الغيب ببلاهة ، وننتظر ، حينما نفقد أحد الذين تقاسمنا معهم بعضاً من هذا الوجع ، وكثيراً من هذا الشغب ، نتعب حدّ النزف ، ثم ندفن رؤوسنا في عجلة الوقت الشرسة.

مصرع بغداد في إرب ذات الفساد

كيف يمكن أن يكون لون كتاباتنا في زمن الجدب ؟

وكيف يمكن أن يكون وقع أصواتنا في زمن الصمت ؟

أي جهد ضائع نسفكه وأيُ عرق بارد نسفحه ونحن محاصرون في وطن يمتد من الماء إلى الماء ، قهراً ووجعاً .. وطن كبير أنفقنا أعمارنا نتغنى برقعته المتسعة ، نتغنى بأنهاره وبحاره ، وأشجاره ، ونحفظ عن ظهر قلب بطولاته وأمجاده ، وأسماء أبطاله.

كيف يمكن أن يكون شكل كلماتنا في وطن عربي كبير ، كبير إلى حد الحزن وإلى حد البؤس وإلى حد الجرح الذي لا يندمل . أمة بأسرها تنكفئ ، أمة بأسرها بنثرها وشعرها وفنها ومجدها ، أمة بأسرها بعشقها وشوقها وحلمها وصدقها ، تنكفئ.

فكيف يمكن لكلماتنا أن تقف في وطن منكفئ ؟

كيف يمكن لأصواتنا أن تكون مدوّية في وطن أبكم ؟

كيف يمكن أن نغني في وطن يبكي وكيف يمكن أن نرقص في وطن ينزف ... وكيف يمكن أن نكتب في وطن شلت يداه ؟

هل يمارس المثقفون الصمت ويدسون حناجرهم ويبتلعون ألسنتهم ويخبئون أصواتهم ، ويفزعون إلى الهذيان .. وهم شهود عيان

على مصرع بغداد شهود عيان على مداهمة قلبها ، ومكابتة نبضها .

هل يمارس المثقفون الصمت ويعتصمون بالحروف الباهتة وهم شهود عيان على مصادرة حلم أمة وأمل أمة تعهدت " فاتنة أمريكية " أن تعيد تربيتها ، وتعيد تهذيبها ، فقط بـ" 20" مليون دولار " فاتنة أمريكية تعهّدت أمام شاشات العالم بأنها ستعلم العرب كيف يكونون ديمقراطيين ، وكيف يكونون متحضرين ومتحدثين .. ستقودهم إلى العالم بعد أن تُشرف شخصياً على نظافتهم وتقليم أظافرهم .

" فاتنة أمريكية " تبرّعت لأجل تعليم نساء العرب " الانترنت " وتعليمهم كيف يربون أبناءهم على حب أمريكا .

الكتابة الباهتة في هذا الزمن غدر وسلوك مقيت ، الكتابة التي لا تسجل موقفاً هي كتابة أرزقية او مجاملاتية أو غرضية ، هي كتابة ميتة ، ولا تبعث صاحبها في عليين .

إن المثقف العربي مطالب بتسجيل موقف واضح مما يجري من جرجرة لأمة كبيرة ، جرجرتها على الإسفلت ، في مشهد مخز.. إن بغداد تُنزع أثوابها ، وتجبر على خلع سترتها ، والشاشات المًخزية تتنافس على بث مشاهد الانتهاك بكل تفاصيلها لحظة بلحظة . والأمة التي تمزّقت إرباً إرباً ، تستمرئ المذلة وتستعذب المرارة .. لقد تحوّل العرب إلى إرب : وإرب ذات فساد لا حول لها ولا قوة .

لابد للمثقف أن يكون له موقف حقيقي ، وألا يظلّ متوحلاً في الصمت؟!!

مَنْ يجرؤ على الكلام

لم تـُجدِ كلّ الكلمات الجميلة التي صاغها الشعراء في محبة بغداد ، لم تـُجدِ كل الأشعار الموزونة وغير الموزونة ، لم تـُجدِ كل القصائد التي صيغت في حسن الرصافة والكرخ ولم تشفع كل المشاعر في وقف رصاصة واحدة متّجهة إلى قلب بغداد .

وطن بأسره يدكّ ، بكل تفاصيل حياته يدكّ ، بكل حضارته وتاريخه يدكّ ، وطن يموت على الهواء مباشرة ، وأمة تمارس نكوصها على الهواء مباشرة ، أمة تتنكر لقيم المجد والنضال ، ولا تتردد في دفن رأسها في مقابر الصمت.

تـُرى كيف ستعيد الأوطان ترتيب علائقها معنا ، نحن الذين تركنا وطناً بأسره ، وطناً أهدانا أجمل الأشعار ، وأروع الكلمات ، وطناً كم فتح جناحيه للشعراء في المربد ، الشعراء الذين يتهيأون الآن للبكاء وللحزن وللانكفاء على أنفسهم في قصائد ذاتية ميتة ، هذه وليمة لهم . فثمة ما يقال الكثير ، ثمة أشلاء وثمة جثث ، وثمة دماء تهدر ، وثمة أعراض منتهكة .

تـُرى كيف ستعيد الأوطان ترتيب علائقها معنا ؟

وبأي وجوهٍ سوف نجئ إليها ؟ بأي وجوه كالحة وبأي خطى متعثرة ، وبأي جباه منكسرة .. وبأي قصائد باهتة . تُرى كيف ترانا

الأوطان الآن .. وهل نجرؤ على التغني بحبها ، وتدبيج المعلّقات في حسنها .. لا أحد غيرنا يشبهنا نحن العرب ، لا أحد غيرنا يشبهنا ، ولا يريد أحد غيرنا أن يشبهنا .

هل يصدق أطفالنا- نحن العرب - ، ما حرصنا على حشوه في رؤوسهم ، هل يصدّق أطفالنا ، كل ما نزعمه من بطولات خارقة ، ونضالات فارقة ؟

هل يصدق أطفالنا نحن العرب أشعارنا الحماسية وهل سيكون بوسعهم الإنصات إلينا ؟

لست أدري ما هو الشكل والمضمون اللذان سيكون عليهما حال الأدب بعد الحرب على العراق . أجدني عاجزاً عن تصور شكل القصائد ، وأغراضها ، بعد أن فقدت شرعيتها بالتغني بأعز الإلهامات : (الوطن) فلم يعد يحقّ للشعراء التغني به ، وقد ذبّح وطن عريق جميل ولم يفزع له أحد ، ((الحبيبة)) ، أي أديب سيكون بإمكانه تدبيج قصيدة عن الحب والوفاء للحبيبة ، والحبيبات يدهسن ويستصرخن ويستغثن ولائمة حبيب يجيب ، الأحبة صامتون، منكفئون كما قصائدهم الميتة .

لا أجدني قادراً على تصوّر شكل القصائد الجديدة ، القصائد المحاصرة بالنكبات وبرائحة الدم وبالخوف وبعيون الأطفال المذعورة، وعيون النسوة المحترقة فزعاً .. تُرى كيف ستعيد الأوطان ترتيب علائقها معنا ؟

نحن الذين خذلنا وطناً بأسره ، ترى كيف ترانا النخلات التي وقفت لوحدها تذود عن أمة بلا جنود ، كيف سترانا المدائن التي ترى بغداد ، يُصبّ عليها جام الحقد ، جام الصلف . ترى أي نزف تنزفه العواصم والرايات ؟!!

ترى ما هو عمق الجراحات .. ومَنْ يجرؤ أن يكتب بعد الآن إلا عن الخيبات؟!!

ليبيا اسم نخلة

ليس بعد

فثمة فل وياسمين وثمة ورد.

وثمة كلم حلو، حلو مثلك ياحلوة ليس بعد .. لم نقل كل ما ينبغي أن يقال عنك .

لم نبح بعد كما تقول شريعة الحب .

كما تقول شريعة العاشقين ، كما يقول نبض القلب : أيتها القادمة لتوها من حقل الفرح ، مازالت أغانينا جائرة في حسنك .

مازالت تتدافع مثل عصافير شجية صوب نافذتك ، مازالت تتكدّس مثل أزهار نديّة عند مزهرك : أيتها الحبيبة ليبيا.

كان علينا نحن المشمولين بحبك ، المغمورين ببهائك. المسكونين بوفائك ، المؤتلقين بصفائك ، المبدعين بوحي حسنك وجمالك ، كان علينا أن نكون أطهر من ذلك ، حتى نكون جديرين بعشقك ، أن نكون أوفر صدقاً ونشطب من معجمنا مفردات الكذب والغش والخداع .

نشطب من معجمنا مفردات المضاربة والمراوغة ، حتى نكون جديرين بعشقك .

ليبيا ، كلمة بمساحة عمر ،

عمر ممتد بلا حد ،

ليبيا ، كلمة يحبها التاريخ ، يحب أن يتلو صفحات شديدة النصاعة والفرادة والبهاء ، تحمل توقيعها وبصمتها ورائحة عطرها ،

ليبيا امرأة جميلة ، شديدة الشبه بأمي ، شديدة الشبه بـ زينب " شديد الشبه بـ" فدوى " ليبيا سماء مزهرة بالنجوم ، ترصّعني حين أشرع غرفة قلبي ، بأجمل النجمات .. ليبيا كلمة منعشة لا يدرك طراوتها وطزاجتها إلا من ذاق حلاوتها من الأصفياء ، الخلّص الانقياء ، الذين لم يساوموا على حبها ، ولم تتردد خطاهم ، حين أشارت بوصلة الروح ، إلى التوجّه نحو بيتها.

ليبيا كلمة معجونة بالسحر وبالخيال وبالأساطير وبعبق التاريخ وبأنفاس المحبين الأوائل .

الذين تحفظ أسماءهم وتحفظ ملامحهم وترصّع جبينها بقسماتهم .. ليبيا قطعة سكر .. لا بل حقل من الحلاوة ، حقل من الياسمين .. ودنيا واسعة من الفرح والبهجة كتب على مداخلها ممنوع دخول : السماسرة والدجالين والمضاربين والمخادعين وكل من لم يحفظ عهد الحب " لليبيا ".

ليبيا اسم نخلة باسقة جذرها في القلب ، وفرعها عند ناصية الروح .

الملاك والدكتاتور

ما أقسى أن نهرب من عيونهم ، ما أقسى أن نصادر رغباتهم البسيطة .

ما أقسى أن نبدو أقزاماً أمام قاماتهم ، وما أبشع أن ندوس على أمنياتهم المتواضعة

.. أولئك الملائكة الطيبون ، الذين يدسون أحلامهم في جيوبنا المخزوقة سلفاً . نزعم لهم وهماً أننا نعتني بها ، وأنها في أيدٍ أمينة .

نلوذ بالغدّ الذي سرعان ما يأتي ويخذلنا ونخذلهم ، يلجم شفاهنا ، ويطفئ عيونهم.

.. أولئك الملائكة الطيبون .. يأتون مسرعين نحونا ، يبعثرون فوضاهم على الدرج ، نشعر بالحرج ، حين يفتشون أكياسنا البائسة فلا يجدون في انتظارهم سوى الورق ، يسكت ضجيجهم ، يسكت شوقهم الذي علّقوه منذ الصباح على النافذة الحديدية الصدئة في انتظار الجديد ، وهم لا يدركون ما الذي يجري بعيداً عن قلوبهم ، حيث يكون لزاماً علينا أن نتشبث بالشعرة مع أولئك الذين قد يمقتوننا ، ولكن نوهم أنفسنا أنهم رائعون ، وأن نكاتهم المملة مذهلة ، وأن حكاياتهم التي سمعناها ألف مرة مازالت تمتلك القدرة على إدهاشنا .

الملائكة الطيبون هم الرائعون الذين اقتسمنا قلوبهم أحلاماً ، اقتسمنا قلوبهم طموحات جميلة .

لكننا ودون أن ندري نقـّطنا في جراب قلوبهم الطرية ، المرارة وفجّرنا في وجوههم غضبنا ، الذي كبتناه عن أولئك الذين احتكروا مصادر رزقنا ، أولئك الذين ندرك حجومهم الطبيعية .

لكننا نغضّ الطرف عنها .. الملائكة الطيبون صغارنا الرائعون، لم نفلح بعد أن نكون عادلين في توزيع الفرح عليهم ، ولم نفلح بعد في أن نكون مقسطين معهم ، ليس لكوننا قساة أو غلاظ القلوب.

.. ولكن لأن الوقت لم يكن يوماً عادلاً معنا ولم يكن يوماً مقسطاً .. وحتى ينتفي ذلك ، سنظل أسوأ دكتاتوريين في التاريخ.

تهـريب الحــب

كـلما مـررت عـلى هـذا الـبحـر، أشـفق علـيه، بحـر مهـجـور، لا تمخـره سوي مراكـب عجـائـز تطـارد حظهـا العـاثر، أو تـوخزه سنـارات لا تملّ من دفن رأسها في الأسفل.

بحر مسكين، بلا حكايات، وبلا أساطير..

بـلا عشّاق.. فـالعشّاق وحدهم يعيدون صيـاغة مشـاوير البحـر، ويجلسـونه بيـنهم، ولا يـخجلـون مـن ممارسـة الشـوق بـين يديـه، ولا يـترددون في الـبوح بأسـرارهم لديـه.. يـتواعدون عـنده، ويسـبقهم إلى الموعد، حـاملاً جوهره وأصدافه.. مهيئاً للحب أجمل وقت، مستمتعاً باللحظات التـي لا تشبّه إلاّ نفسها.

ومسـكينة هـذه الحدائـق المهجـورة، هـي أيضـاً بـلا أحـبّة، لم تسكنها دهشـة اللـهفة، ولم يلمسـها سـحر اللقـاء، ولم تسـكن وجـنات ورودها قبلات، ولم تغفُ على أكمام زهورها همسات.

ولم تنحـت على جذوع أشجارها أيّة ذكريات..

"ممـنوع الحـب" هكـذا علّقـت هـذه اللوحـة غـير المرئـية، عـند عتبات البحـر، وعند مداخل الحدائق.. " ممنوع الحب " وتظلّ القلوب حبيسـة تحـلم أن تمـارس طقسـها في الهـواء، وتحـلم أن تُشـرك الـبحـر

معها ، هواجسها وخواطرها ، وأشجانها ، تحلم أن تطلع البحر على صورة الحبيب ، وعلى اسمه ، وعلى ملامحه أن تدسّ الرسائل في جيبه ، وأنْ تهمس في أذنه بأشهى الكلمات .

خجل هذا البحر.. وهو يطالع تلك " البحار" الضّاجة بالكلمات الحلوة ، والقصص الحلوة ، المزدحمة بالمواعيد ، خجل هذا البحر الذي يدفقون في عروقه مياههم الوسخة ، وقاذوراتهم ، وسعال بطونهم المتكّرشة ، خجل هذا البحر ينعي حظه ، وهو يطالع تلك البحار التي وهبتها الحسناوات فتنتها كلها وسحرها كله ، ولم تتردد في اطلاعها على سلالها وأطباقها الشهية ، لم تتردد في أن تدفق عطرها في عروقها ، ولا أن تسكب ماء جنونها في جراب قلبها .

خجل هذا البحر، الذي يأتيه العشّاق " خِلسةً " بعيداً عن " العيون " و " الأنوف " و " الأرجل " العقربية ، يهرّبون الحب تحت أجنحة قلوبهم الغضّة ، التي لا تقوى على مقاومة تلك النظرات الشيطانية ، التي تغرس حناجرها جهة صدورهم .. وليعلم البحر.. ولتعلم الورود ولتعلم كّل الأشياء الجميلة .. أنّه ما خلا رجل و امرأة عاشقان إلاّ وكان ثالثهما الحبّ ، والدفء ، والشوق ، والطهر. الشيطان لا يتسرب إلى العاشقين ، لأنّ قلوبهم تنبض بالحب ، الشيطان يتسلل إلى صدر الحاقدين الكاذبين .. ما خلا رجل و امرأة إلا وكان ثالثهما حقلاً من الفلّ والياسمين والورد البلدي وما خلا رجل وامرأة إلا و كان ثالثهما الشعر والفن والدهشة وموسماً بحاله من الربيع .

ثقافة : معانا / معانا

عبده " دريم "

كدت أتجاوب والله مع " شعبان عبد الرحيم " وكدت والله أعتبره مثل الكثير من المواطنين العرب الذين يتعلّقون بالقشة ، كدت اعتبره بطلاً قومياً ، لأنه قال : أنا أكره " إسرائيل " وظننت أن الرجل يعي ما يقول ، وأنّه يجسّد موقفاً فنياً ملتزماً. وطلقت العنان لنفسي، واعتبرته أيضاً من أئمة مقاومى التطبيع ..

كان هذا الحال هو حالى . لكن شعبان لم يشأ أن يجعلني أتمتع بهذا الاعتقاد حوله .. وكنت لم أسعد بطلعته البهية من قبل .. لكنني اكتشفت أن مسألة الكراهية والحب ، عند هذا " المترب " هي مثل الباعة المتجولين الصائحين : معانا - معانا

فالرجل ظهر في إحدى القنوات الخاصة ، ولم يكتفِ "ببيع" محبته في السوق بل شوَّه حتى اسمه ، وقام بتغيير لقبه من شعبان عبد الرحيم إلى شعبان عبده دريم .. فقد رأى أن " عبادة " دريم سوف تجلب له المال .. فلا بأس من تغيير حتى ديانته .

إذن المسألة ، ليست مواقف و لا هم يحزنون و لا شجاعة ولا جرأة فشعبان بالأمس وعلى الملأ ورّع حبه لأصحاب المحطة الخاصة..

ولم يكن هو وحده من يتهافت على إعلان الولاء والطاعة ،

ولكنْ معه نفر آخرون ..

وهكذا خسر العرب " مناضلاً " مفوّهاً آخر كان قد تولّى أمر النضال نيابة عنهم .. إنها ثقافة " معانا - معانا "

المثقفون المتجولون والمفكرون المتجولون والشعراء المتجولون " معانا - معانا " بضاعة على كل شكل ولون ومن يدفع أكثر يحظي ببضاعة هؤلاء المتجولين وما أكثرهم !!

الفريسة الثانية !!

يـبدو أن عمليـة الإفسـاد المـتعمّد لكـل مـا هـو جمـيل ونبـيل ، مستمرة ولن تتوقف ، ويبدو أنه لا يوجد شئ في مأمن من هذه العملية التخريبية التي طالت كلّ شئ .

فـبعد أن تمكّنوا مـن الأغنـية ، وحولوهـا ونأسـف لهـذه المفـردة- إلى كـباريه - رخـيص ، في أبشـع وأشـرس عمـلية تشـويه تـتعرض لهـا الأغنية العربية على مدي تاريخها ، وبأصوات عربية .

ولمـا وجـد هـؤلاء المفسـدون الأمـر سـهلاً ، ولمـا أسـهم أصـحـاب الأموال في زرع قنوات " كباريهاتية " ، فقد انفتحت الشهّية وكانت الفريسةُ الثانية " الدراما المرئية " . فبضاعة الترخص والتعرّي التـي لم تعـد رائجـة في " السـينما " وخاصـة المصـرية .. ولمـا لم يجـد مـروجو وممارسـو هـذه الـتجارة الـبائرة مجـالاً ، كانـت الهـجمـة البشـعة عـلى " المرئـيـة " مـن خـلال نجمـات آفـلات "للسـينما " ومخـرجين آفلـين ، فحملوا " رخصهم " إلى المرئية وقذفوا فيها كلّ موبقاتهم.

.. وتحوّل كتّاب " الدراما التلفزيونية " إلى خياطين " من الدرجة العاشرة يفصّلون " قماشة" المسلسل على قدر " النجمة " ووفق رغباتها هي ، وعلى حساب كل المشاركين الذين يتحوّلون إلى " سنّيدين " .

مهـرجـان فـاشـل شـهدته الدرامـا المصـرية لهـذا العـام[1]، مشكّلاً

---

(1) الإشارة إلى الدراما المرئية رمضان- 2003ف

نكوصاً في مسيرتها وفي أعمالها البارزة ، وكانت سيطرة " المنتج " واضحة فكان اللعب بهذه الدراما .. ذات الخصوصية وذات الاقتراب الشديد من الأسرة العربية .

في الوقت الذي سجّلت فيه الدراما السورية تقدّما كبيراً في الطرح والمعالجة ، واستقطبت جمهوراً عريضاً محرزة تقدماً في مجال " الدراما " (التليفزيونية) العربية ، مراعية طبيعة الشهر الكريم الذي تُعرض فيه هذه المسلسلات . على عكس جلّ الأعمال الدرامية المصرية التي انتهكت حرمة هذا الشهر من خلال المشاهد الساخنة وتعاطي الخمور، والحوارات المتبذلة.

إنْ الدراما المصرية إن لم تنتبه إلى نفسها ، وتعيد صياغة خطابها ، وتتبرأ مما حدث في رمضان هذا العام ، فسوف تخسر مكانتها ، وسوف تسحب البسط من تحت أقدامها ، إن لم يكن بالفعل قد بدأت في التقهقر. إننا نريد دراما عربية حقيقية ، تنتصر لقيم الحق والخير، ترسّخ قيم الجمال ، لا دراما رخيصة تتبنى السطحية في المعالجة والأداء .

نتمنى أن تنهض " الدراما العربية " بدورها في إعادة التوازن إلى هذه الأمة ، وإعادة الثقة إليها في مكوّناتها ، وتاريخها وأصالتها ، إن أمة مستهدفة في وجودها ليست في حاجة إلى دراما تخديرية هروينية جنسية.

إنما بحاجة إلى دراما منحازة للقيم الفنية الحقيقية ، مدركة لمعادلة الشكل والمضمون.

حبر على ورق على لحم!!

أحاول أن أكتب شيئاً عن الأدب ، شيئاً عن الفن ، شيئاً عن الثقافة ، تهرب الكلمات ، بعد أن تبحلّق فيّ ، تريد أن تقول كلاماً ، لكنها تكتفي بالصمت الضاج . نفكر أن نكتب عن "المشهد" الذي يؤرّق زميلنا "محمد المالكي" .. عن "الورشة" التي يجهد فيها رفقة "محمد عبد الله الترهوني" وعتب "المالكي" لنا أننا نتكلم عن الحب وعن الوّد ولا نشركه همه ..

حاولت أن أكتب شيئاً ، لكنها شخصت فجأة ، شخصت بكل تفاصيلها الدامية ، بكل صرخاتها واستغاثاتها ، شخصت الأشلاء ، التي كانت تحمل روحاً هي من روح الله ، شخصت الأشلاء التي كانت تحمل عشق الله ، شخصت الأشلاء المتناثرة وجعاً وقهراً شخصت الأشلاء التي قُتلت غيلة .

شخُص هذا " المشهد " ليعلن كفره بقصائدنا و أناشيدنا وشعاراتنا.

شخص " المشهد " الملطخ بخنوعنا وخضوعنا ، الملطخ " بعروبتنا " .. شخصت أشلاء أطفال عرب كانوا يتحدّثون بلسان عربي مبين ، يحملون قسماتنا نفسها ، أشلاء دامية ، اختلطت بكراسات المدرسة ، وكتب المدرسة ، والواجب المدرسي: بلاد العرب أوطاني وكل العرب إخواني ، والأطفال أحباب الله .. و موسي بن

نصير وطارق بن زياد ، وخالد بن الوليد .. وكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ، وعبد الرحمن الداخل ، وابن عبد الله الخَارج ، و عنترة بن شداد ، وحاتم الطائي ..

اختلطت أشلاء أطفال فلسطين بالنصر المبين والمعوذتين وإغاثة الملهوف .. اختلطت بمشروعنا الثقافي والفكري ومهرجاناتنا .

اختلطت دماؤهم بحبر كتبهم التي سطَّرت صفحاتٍ من تاريخ عظيم ، وانتصارات عظيمة !!.. حبر على ورق ، ورق على لحم ودم ، حبر على ورق ، حبر على كذب . أشلاء دامية تتوزع على عيوننا الميتة ، . هذا هو " المشهد " الذي يسخر من كل مشاهدنا ، ويعتب على قصائدنا ، ويصمنا بالإدانة التاريخية .

المُطيبــاتــي

شخصية " المطيباتي " شخصية معروفة في أوساط المقرئين .

و" المطيباتي " شخص طفيلي له مهمة محددة ، لا يخرج عنها، يتفق معه " المقريء " بأن يتولى استحلاب أو انتزاع الآهات من حناجر المستمعين ، وهو عادة يجلس - قريباً - من الشيخ المقريء، حتى يصل صوته إلى المستمعين فيلهب حناجرهم ، فتتعالى أصواتهم وصيحاتهم ، متناسين آداب سماع القرآن الكريم (الإسماع والإنصات والتدبُّر) .

لكنه التنافس بين بعض المقرئين ذوي الشهرة المحدودة ، حول أيّهم أكثر استئثاراً للمستمعين ، وأيهم تتعالى معه الآهات بشكل أكبر، دون مراعاة لآداب النصّ القرآن.

" المطيباتي " شخصية خطيرة فهو يمارس التمويه والتشويش وقلب الأشياء . في الأوساط الثقافية ظهرت شخصية " المطيباتي " ، والمقريء تحوّل إلى شاعر وتحول إلى ناقد وتحوّل إلى فنان تشكيلي و" المطيباتي " طوّر من أدواته ، ليواكب " المقرئين " الجدد .

" المطيباتي" أصبح ينتزع آهات المتلقين و إعجابهم في المهرجانات والندوات والملتقيات . فالمتشاعر لم تعد له مشكلة.. فالمطيباتي "سوف يخدع الجمهور بالآهات و التصفيق . كذلك الكاتب الذي يجرجر أفكاراً ميتة لا حراك بها ، ولم يعد يتفاعل معها أحد إلاّ "

المطيباتي " أفكاراً لا تعني إلا صاحبها ولا تعشعش إلا في رأسه.

لا يمكن لمنتج رديء أن يعتمد في رواجه على " المطيباتية " سيأتي زمان وينهار وسيأتي زمان ، يعض فيه أولئك الذين تعاطوا أفكاراً بائسة . محبطة ، على أصابعهم ، حين يكتشفون أنهم لم يتركوا شيئاً يمكث في الأرض ، وإن كل ما قالوه زبد .. وسيدرك " المطيباتي " أنه روّج لشيء خبيث ، روّج لشيء ضار ، حين مارس التضليل ، وزين القبيح .

إن إسقاط المتلقى من حساب الكاتب واعتماد المطيباتي لن يؤدي إلا إلى سقوط الكاتب نفسه ، والقول بوهم وجود المتلقي ، تنظير أعرج ، خاصة حين نتصدى للكتابة عبر "صحيفة" لابد أن تختلف معالجتنا للمواضيع .

فنحن لا نكتب في دورية أكاديمية ، أو مطبوعة بحثية .. هذا لا يعني الابتذال والإسفاف ، ولكن يستدعي مراعاة المخاطب واحتياجاته الفكرية ، والارتقاء بذائقته وأفكاره وصياغته للحياة ، ولا نجعله يدور في دوامة لا قرار لها .

أما أن نكتب لبعضنا بعضاً ، ونتبادل أدوار " المطيباتي " و" المقريء ". فهذه مسألة أخرى " ، يكون من المجدي ممارستها بمنأى عن الناس .

معانا خيار !!

الخيار جميل ، خاصة إذا كان طبيعياً ، وجماله أنه الوحيد من الخضروات الذي يطلق عليه " سَوْقي " مع أن كل الخضروات " سوقية ".

الخيار حديث كل النشرات ، ولا يذكر إلا ويصحبه وصف جميل .. استراتيجي ، تاريخي حضاري .

ذهبت إلى الفندق البلدي وسألت الباعة عن " الخيار الاستراتيجي " فلم أجده وقالوا إنهم لم يسمعوا قط عنه ، فهناك نوعان من الخيار (خبار طبيعي وخبار صوبات) ما علينا الكوسة أيضاً جميلة وإخواننا في المشرق ، يصفون الأمور حين تنفلت بالكوسة ، ويسندون إليها كل أنواع الفساد ، فالكوسة هي التي تضع الرجل غير المناسب في المكان المناسب ، والكوسة هي التي تأتي بالجهال إلى سدة السلطة.. وإلى المواقع ذات الإيرادات.

وهنا أسأل سؤالاً وجيهاً ما علاقة " الكوسة " بـ " الكولسة" يمكن أن أخرّج وأأصل فأقول " الكولسة " كانت تنطق قديماً "الكوبسة" و "الكوبسة" هي الكابوس المزعج ، وكان الناس إذا تعرّضوا لمصيبة ، أو لصدمة ، قالوا إنها من صنع " الكوبسة " ومع مرور الوقت تحوّلت الكلمة إلى الكولسة واشتق منها كلمة "الكولاسة" وهم الذين

يتآمرون آسف بل يخططون للانقضاض على المراكز في هدوء وبعيداً عن الضجيج ، وهذا أمر جميل ورائع وبديع .. وأقترح أن ينظم مهرجان " للكولسة " تمنح فيه جائزة أفضل " كولاس " للمكولس الذي يثبت أن كولسته استطاعت أن تضع شخصاً جاهلاً مريضاً موتوراً في موقع حساس ، وهكذا أدعى أنني أول مكتشف للعلاقة بين " الكوسة " الشرقية "و الكولسة " المغربية .

يا لها من خلجة طازجة ومنعشة ومغذية ولن تغضب أحداً ولن تستثير أحداً ، إلا لو كانت له عداوة تاريخية مع الخيار ومع الكوسة .. كلام جميل بَلا ثقافة بَلا بطيخ .. والبطيخ أيضاً جميل وحلو ولصيق بالعامة البطيخ فاكهة الدهشة والتطمين ألم تسمعهم يقولون حط في بطنك بطيخة صيفي !! ، والبرتقال فاكهة الغنج ، ويكفي أنّ أغنية كسّرت الدنيا ، كما شاعت من قبل أغاني البلح والعنب والليمون والخوخ. بلا شعر حرّ بلا شعر مرّ ، الطماطم قصة ، أشعر دائماً إنها أنثى خجلة وحيية جميلة الطماطم يصفونها الباعة بـ " المجنونة " لا أدرى لماذا .. إيه هو الجنون جاء على الطماطم فقط .

" الباذنجان" هذا الأسود اللميع البديع ، متعدد الأغراض ، مثل .. بعض المتعاطين للإبداع (مقلى ، مسلوق ، مطبوخ مسبوك - محشي) بيض الجان خضرة حريّة بالاحترام وكما قالت إحداهن : سلم لي على الباذنجان !!

" الفندق البلدي " رائع منعش أوه على الفلفل حكاية هذا

الفلفل بأنواعه كافة .. اكتشفت أخيراً أن المثقفين أفضل من ... لا لا لقد عاهدت نفسي أن تكون هذه الخلجة وقفاً على الكرنب والفجل والجرجير والمعدنوس .

يا أخي إذا تحدّثنا عن فلان غضب علاّن ، وإذا تحدثنا عن علانة غضبت فلانة ، وإذا أثنيا على الفلانيين ، غضب العلانيون كنت أودّ الحديث عن (المُبتزين) المكنتشرين مثل الذباب عى شبكة الإنترنت وكنت أودّ أن أتحدث أيضاً عن الطلاء " الزواق " وعلاقته بالأخلاق وأشهر المزوَّقين .. لكنني سأرجئ هذا إلى فرصة أخرى لنبسط الحديث عن الزواق وأبعاده التاريخية ودلالته الاجتماعية وموقعه في منظومة الثقافة والمثقفين .

"قوميستي" وأشياء أخرى

لدى هذا " القوميستي " مصلح الإطارات آله عجيبة ، سريعة ، تنجز عملها بشكل فوري ، لا تباطؤ فيه .

نعم تثير ضجيجاً يصمُّ الآذان حين تشرع في العمل ، لكن نتائجها المبهرة ، تغفر لها هذا الإزعاج ، لأن الأشياء تأتيها فارغة جوفاء ، وبسرعة البرق ، تنتفخ وتكبر ، ليس مهماً بماذا تنتفخ ؟ هواء أم سواه ..

ما علاقة " القوميستي " أو " الكومبريسا " بالثقافة ؟

العلاقة وطيدة فـ" الكومبريسا " تستعمل الآن في نفخ البشر الجوّف .." بشر" انتفخوا بهذه الآلة وصدّقوا أنهم كتّاب ..

وتبدأ المشكلة بأخذ جرعة " شاعر " ويبدأ في النشر وتتسع الصفحات (لنصوصه !!) ويصدّق الموضوع .. وتكبر في رأسه ، وينسى أنّه " ريح " مرهون بشكة دبوس تعيده إلى وضعه الطبيعي..

يستمر في غيّه ، فهو شاعر ، ولماذا لا يتحوّل إلى ناقد ، المسألة سهلة .. فكل الأمور سهلة . الهواء مجاناً ، الشيء الوحيد الذي يعطي بالمجان في المحلات التجارية .. نخشى أن تتحوّل بعض الصفحات إلى محلات إطارات والأعمدة إلى "كومبريسا".

مرة أخرى

"مجلة الثقافة العربية"

تمرّ هذه الفترة بمرحلة انتعاش رائعة، حيث وفّرت لها كل الإمكانات وصدر منها عددان والثالث في طريقه إلى الصدور.

إذن ما هي المشكلة، المشكلة أنّ هذه المجلة، تعبت وهي تنتقل من جهة إلى أخرى، أرهقت من كثرة التبعيّات، وهي في هذا العمر لم يعد بإمكانها القفز والركض، بحثاً عن راعٍ وداعم .. لقد اطمأنت واستراحت، حين آلت تبعيتها للمجلس الذي لم ينجل عليها وهذا هو الوضع الطبيعي.

" الثقافة العربية " تنتظر هذه الأيام من جديد .. إلى مَنْ ستؤول ؟ ويساورها القلق .. وهي تسعى لمشوار جديد بثوب جديد .. تأمل أن يستقر بها المقام، ولديها أمل كبير أن تواصل الوفاء لشعارها. ثقافة عربية أصيلة وفكر إنساني متفتح، وان تتوصل مع هؤلاء الكتّاب الأوفياء، من داخل الجماهيرية وخارجها، الذين سارعوا إلى تجديد البيعة لها والنشر على صفحاتها.

الباحث الـوفـي (*)

أجدنـي في عيد " الوفـاء "(1) مـندفعاً بحمـاس إلى الحديـث عـن صديق للجميـع ومحـبٍ للجميـع ، صديق معطـاء .. جديـر بـأن يلقـب بالوفي ، في زمن ندرت فيه هذه القيمة .. عمَّن أتحدث ؟

أتحـدث عـن " سـالم الكبـتـي " البـاحـث الموثّـق الصـبور ، الـذي يعكـف في صمت ، في محـراب الكـلمة ، كـزاهد نبـيل ، يمـارس طقـس الكتـابة ، دون ضجيج ، دون تكسب ، دون تملق ، ودون تعالٍ أجوف.

يعشـق عملـه عشـقاً عظـيماً ، ربمـا لا يدانـيه إلا عشـق "حسـين" الصغير قرة العين الذي لامس عطش الروح وحلم الخـاطر.

"سـالم الكبـتـي" الـذي أجدنــي مـندفعاً للحديـث عـنه في عـيد الوفـاء .. شـاءت الأقدار أن يكـون عضـواً فـاعلاً في لجنة جمـع وتـوثـيق التراث الـتـي تشكلت في مطلع السبعينيات وأنجزت عملاً رائعاً فيما يخـص الشـعر الشـعبي ، وهـا هـو الآن عضـو في لجـنة تـوثـيق الذاكـرة الثقافـية المنبـثقة عـن الأمانــة العامــة لـرابطة الأدبـاء والكـتـّـاب بـالجماهيريـة العظمى " إلى جـانـب الأستـاذين على مصطفى المصراتـي

(*) سالم الكبتي : ذاكرة توثيقية رائعة .. يثابر على عمله التاريخي هذا بجدّ واجتهاد ومثابرة طويلة لديه مكتبة قيمة ، ورصيد هائل من الوثائق والمخطوطات.

(1) عيد الوفاء : 30-9 من كل عام.

وعبدالله مليطان ، وكان باكورة عمل هذه اللجنة الاحتفاء بالشاعر الكبير أو شاعر الوطن كما دعاه الكاتب محمد السنوسي الغزالي [2] الشاعر حسين الأحلافي.

وكان الكبتي صاحب الفكرة . يحلم الكبتي أيضاً بأن يتم الاحتفاء بكل أدبائنا ومبدعينا ، من أمثال : أبن الاجدابي ، عبد السلام دنف ، رشاد الهوني ، عبدالقادر بوهرووس ، احمد العنيزي ، محمد المطماطي ، خليفة التكبالي ، حسين مخلوف ، أحمد فؤاد شنيب ، محمد خليل سيالة ..

إنه الوفاء والإيمان والتأكيد على أن هذا الوطن لم يكن يوماً وادياً غير ذي زرع .

---

(2) للأسف هذه اللجنة لم تواصل عملها . ولم تتقدم خطوة بعد احتفالية حسين الأحلافي.

بعيداً عن "التطبيل"

حاولت بكل الطرق ، أن استسيغ " سينما " يوسف شاهين..
حاولت أن أقنع نفسي بمشروعه الفني ، وكنت في كل ذلك واقعاً تحت هيمنة " بروبجندا " دعاية إعلامية غير عادية ..

كرّست منه رمزاً غير قابل للنقد وتجربته ممنوعة من التناول المحايد ، واعتُبر عزوف الجمهور عن متابعة الأشرطة التي يقوم بإخراجها ، دليلاً على قصور فهم عن استيعاب عبقريته ..

وكان ذلك الترويج لأعمال شاهين على حساب أعمال مهمّة وأسماء مهمة في تاريخ الإخراج في الخيالة المصرية مثل : شادي عبدالسلام ، كما الشيخ ، صلاح أبو سيف ، حسين كمال وعاطف سالم، أو الجيل اللاحق : عاطف الطيب ، على بدرخان ، رضوان الكاشف وغيرهم من أصحاب التجارب الحقيقية في الإخراج ..

أنا لا أدّعي ممارسة النقد المنهجي لأعمال يوسف شاهين..
ولكنني أعبّر من منطلق ذائقة بسيطة ترى في هذه الأعمال مغازلة للغرب ، من خلال " تكنيك " سينمائي عجيب ، يظهر تفاصيل التفاعلات العربية المعيشية ، أو المتوارثة بأسلوب يروق لعين الآخر ويدغدغ مشاعره ، كما حدث في شريط " المصير " وهذه الأجواء الغريبة التي لا أدري من أين استقاها ..

والتي - لا شك - أهلّته لإحراز السعفة الذهبية " في مهرجان (كان).

أنا أحترم تجربة شاهين وأحترم حرفيته العالية ، لكن أظل غير مستسيغ لمشروعه الإخراجي الذي يشبه بعض قصائد النثر الملغزة أو " المشفرة " التي ربما تحتاج إلى " بطاقات " اشتراك لفهمها .. ربما تباع مستقبلاً مع الجريدة أو الديوان .

" الخيالة " هي فن جماهيري شعبي ، قريب إلى الناس ، لابد ألا يغرق في الإلغاز والتعمية ، لنيل رضا المحكّمين الأجانب .

المهرجان الحقيقي هو مهرجان الناس ، هو انطباعهم الفطري ولا نحمّل الخيالة كل هذا التعقيد .

هل لدينا شاعرات؟

الشعر شعر ، هكذا أراده أهله ومبدعوه ، وصاغوه في أشكال استساغوها ، وضبطوه ، وجعلوه قيمة عالية في حياتهم ، وكان ميلادُ شاعر حدثاً عظيماً ، حدثاً جميلاً .

وظل الشعر رفيقاً للإنسان العربي ، ظل قريباً وأميناً ،

مسيرة طويلة ، كثيرون جداً الذين كتبوا الشعر ، لكن قلة هم الذين خلدوا ، رحلوا وظلت نصوصهم خالدة ، لم يبحث " المتنبي " عن دور نشر ، ولم يبحث عن من يكتب له مقدّمة عبر تهويمات وتخريفات وهلوسة ..

المتنبي كان شاعراً حقيقياً ، كتب شعراً ومضى وظل شعره طازجاً مثل وردة تفتّحت لتوها .

“ 2 ”

فرغت إحداهّن من إلقاء ما لديها من نصوص ، وما إن انتهت الأمسية ، حتى سارع إليها أحد الذين يتعاطون النقد ، مثنياً ومكبراً ، مستعملاً كلّ مفردات الإطراء. بعد أن مضت ، سألته . لماذا فعلت هذا ؟ عيب وحرام عليك.

أأنت مقتنع حقاً بما قالت . فأجاب . لا.. إذن لماذا تجني عليها . هذه .. لن تستمع إلى نصح ، لقد عمّدتها شاعرة كبيرة .

ماذا أفعل يا أخي هذه مجاملة .

المجاملة مقبولة في أي مجال إلا الفن .. لا بد أن نحافظ على طهارته وسموه .

"3"

الشاعر الجميل مفتاح العماري يقوم بعمل مهم الآن في صفحة " فضاءات"[1] ، يوجّه ويرشد ، وأتمنى أن يساجلني في هذا المقال . لابد أن تكون هناك وقفة حقيقية .. هل مجرد أن يكون الكلام صادراً عن أنثى يكون شعراً .

هل بعشرة من كلمات تسمى قصيدة .. وهل ما مجموعة مئة كلمة يسمى ديواناً؟.

---

(1) صفحة تعني بالمواهب ، تنشر أسبوعيًا في صحيفة الجماهيرّية.

“ 4 ”

اكتبن ما شئن لكن لماذا التمحك بالشعر.

الشعر شعر والنثر نثر.

وهو أيضاً جميل ورائع وليس مجالاً لعبث العابثين .

إن المسؤولية تقع على بعض الكتّاب الذين يضخمون الأمر في رؤوس بعضهن ، ويخلعوا عليهن الصفات ، ويسرجن التهمويمات غير المفهومة على كلمات تريد نفسها عنوة شعراً ، يقول المشهد الشعري الممتد لن يكون الشعر إلا الشعر ولن يكون الإبداع إلا الإبداع.

كلنا سنرحل ، وستبقى كتاباتنا وحيدة ،

فلنحرص على طهارة ما نكتب ولا نسئ إلى هذا الفن الجميل..

ولا نضلل من هن في مفتتح الدرب .. بكلام هوائي رخيص ، سرعان ما يذهب أدارج الرياح.

إحراز الخلود

ثمة من يكتب الخلود ، ثمة من يكتب البقاء ، ثمة من يضمن أن يشرق وجهه مع مطلع كل فجر ، مع الإثمار مع الإزهار ، مع تنفس البواكير طلوعَها .. ثمة من يحرز التواصل العظيم .

" على الفزاني " في ذكراه الأولى [1] ، كان من ذلك الطراز الرفيع ، الذي يتنفس شعراً هو الحياة في أنصع صورها ، هو الحياة بكل تجلياتها وإبداعاتها وإخفاقاتها وخيباتها .

لقد أفلح في إحراز الخلود ، لسبب بسيط غير معقد ، وغير مؤدلج وغير ذي عوج إنه الصدق ، صدق الذهنية ، صدق المخيلة ، صدق التجربة ، صدق الموهبة ، وطبيعياً صدق المنتج .

وفي الجانب الآخر ، بعيداً عن النهر ، ثمة من يكتب موته حين يجرؤ على قداسة الشعر ، ثمة من يحرز الفشل حين يرتكب هذياناً ، لا يشيع في نفس متلقيه ، إلا الدوران في دوامة لا نهاية لها.

ثمة من يسرع الخطى إلى هوة سحيقة إلى هوة مظلمة ، حين يصرُّ على ارتكاب فعل التحايل والكذب ضد الشعر ، هذا الجميل الذي رعته دموع ، ورعته جراحات ورعته آلام ، وأرضعته قرائح من

---

(1) رحل الشاعر الكبير على الفزاني في 2001/9/26ف

نـزفها ، ومـن حشاشـة قلبها ، أمّنـته على حـلمها فكـان نعـم المؤتمـن ، أمّنته على سرها فكـان خير من أسرت ، وأذنت لـه بالبوح فكان نعم من باح .

بعيداً عن النهر ثمة من يغوص في الوحل حتى أذنيه ، ظاناً أنه بين يدي نمير عذب .

" على الفزاني " ظل شاعراً حقيقياً ، ولم يكن في النهر فحسب، بل كان رافداً من روافده . في ذكراه لن نكون رثـّـائين.

لـن نكـون بكّـائين ، لسبب بسيط أيضاً أن صاحبنا وشاعرنا قد أحرز الخلود ، بينما أحرز غيره الخواء والموت اليومي .

سعة (صدر) الله وضيق صدر المتزمتين

المتتبع والمدقق لسيرة القرآن الكريم، وأعني هنا السيرة الذهنية، يكتشف جلّياً إن هذا الكتاب السماوي الرفيع، قد أعلى قيمة، غاية في الأهمية، قيمة هي المفتاح السّحري لكل نهضة حضارية حقيقية، إنّها " قيمة الحوار " إنّ هذا التشريع السماوي كان سبّاقاً إلى تأسيس منهج حواري أصيل، يستجيب لطبيعة الإنسان، ورغبته الملّحة في الوصول إلى المعرفة.

ولا شك أن الحوار هو السبيل الأمثل لإدراك هذه الغاية. والحوار كما النبتة لابدّ له من بيئة صالحة، ومناخ صحي، حتى ينمو ويشتد عوده. ولقد سجّل القرآن الكريم أكبر حضور حقيقي لهذه القيمة الحضارية العظيمة، وكان صريحاً في دعوته لاعتماده- أي الحوار- وسيلة ناجعة لإيمان راسخ لا يتزعزع.

ولم يكن ثمة قيود، ولا خطوط حمراء ولا صفراء، بل كان هناك إلحاح مستمر وإصرار على ممارسة هذا السلوك الفكري، فكان طبيعياً أن تزدهر الآيات البيّنات بـ مفردات هذه الموضوعة : " حاورهم " جادلهم " يسألونك ".

السؤال كان مُباحاً في كل شيء، لم يك ثمة تستر على شيء، أو إخفاء، او إغماط لحق شيء. ولم يدعُ القرآن الكريم إلى الحوار فقط،

بل وضع أسس أدبياته ، من بينها الحكمة والموعظة الحسنة . إذن الهدوء والرّويّة وعدم التشنج وعدم التعصب وعدم التزمت كانت كلّها ديدن هذا الحوار.

وتجاوز القرآن الكريم الرسالات التي سبقته ، كونه لم يعتمد الطريق الأسهل والأيسر وهو الإبهار والإعجاز بمشهديات خارقة تُعجز العقل واللسان وتُبهت المشككين والمضللين . لكن هذه المعجزات مرتهن تأثيرها العميق ، بالمشاهدة وحضور الحدث ، أما تناقله فإنه يفقده كثيراً من دهشته وفجاءته .

القرآن الكريم اختار المهمة الأكثر صعوبة ، اختار أن يستفز العقل وأن يثيره لا أن يُعجزه ويُبهته ، وكان هذا الكتاب الجميل أميناً في نقل ورصد وإعلان كل الحوارات ، على جرأتها وطرقها لمواضيع ، نقول عنها إنّها خطوط حمراء ، ربما إذا تجرّأ أحدٌ عليها- الآن - قطعت رأسه .

ما الذي جرّني إلى هذا الحديث ، الذي جرّني إلى هذا الحديث هو البرنامج الفضائي الذي بث مؤخّراً حول الكاتبة " نوال السعداوي " وسواء اتفقنا أم اختلفنا مع هذه الكاتبة ومع ما ورد في حوارها الصحفي ، فإن ثمة قيمة لابد أن نحرص عليها وهي قيمة إبداء الرأي ، قيمة حرية التساؤل والتفكير ، ولا أعتقد أن ثمة مبرراً وجيهاً واحداً ، يبيح مقاضاة الإنسان جنائياً على رأيه ، من قبل وكلاء وهميين نصّبوا أنفسهم حماة ومدافعين عن الإسلام وهو منهم

براء . وكما أنّ هناك " ملكيين " أكثر من الملك " فثمة " ربوبيون " - حاشا لله أكثر من " الرّب" الخالق العظيم .

الربّ العظيم لم يضق صدره بحوار في منتهى الجرأة والخطورة، فجّر أسئلة تمسُّ صميم العقيدة ، أعني هنا هذا الحوار الذي دار بين الخالق العظيم ، وبين إبراهيم - عليه السلام - وسؤال إبراهيم وهو في حضرة ربه .. وإبراهيم كما نعلم - ذو عقلية تساؤلية حوارية تبحث دائماً عن الحقيقة ، وكانت له سيرة " رائعة في بحثه عن " الله " خالق الكون ، وإعجاباً بهذه السيرة أثبتها الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه . طرح إبراهيم عليه السلام على ربّه سؤالاً خطيراً جداً حين قال :" ربي أرني كيف تحيي الموتى " سؤال ناري لا يجّسد فقط رغبة هذا النبي في المعرفة الحقة ، بل يجسد قبل هذا عظمة هذا الخالق ، وهو يتلقى هذا السؤال بسعة صدر ، ودون أن يسخط إبراهيم أو يخسف به الأرض ، كان جواباً عن سؤال :

" أولم تؤمن " وكان الردّ الجيمل " بلى .. ولكن ليطمئن قلبي " وما كان من الخالق البديع إلا أن لبىّ " الحاجة العقلية " لهذا الخليل. هذا درس في جماليات هذا الربّ الجميل ، الذي أدرك وهو المدرك لكل خافية ومعلنة ، الرغبة في المعرفة وصولاً إلى مرحلة " الاطمئنان ".

للأسف ، هؤلاء المتزمتون المكتئبون المتوعدون للناس بالجحيم، والدين يجدون لذة وهم يسردون صنوف العذاب ، والذين لا حول لهم ولا قوة باستيعاب الحوار والجدال لعجزهم على الوفاء باشتراطاته.

للأسـف مـرة أخـرى تنشـط هـذه الفـئات ، وتغـرس هـذه السلوكيات العدوانـية في نفـوس الناشـئة ، وتحـرّم وتحلـل عـن جهـل وتزمت مقيت .

رأيت الله في عيونهم[1]

للذين يذهبون باكراً متوضئين بالفجر، للذين يتركون رسائلهم على وسادات أمهاتهم ويحفرون وصاياهم في حبات قلوبهم .

للذين يغزلون الخلود على هواهم وينتظرون الله بفارغ الصبر. للذين يذهبون باكراً نحو وجهه الجميل ، حاملين أمتعتهم السحرية ، حيث لا يشبههم أحد ، يمرون بمحاذاة الشمس ، يهبونها نورها الأوّلى، ويعبون جرابها بالعطر.

للذين يمرون على بيادر البرتقال والليمون ، يهبونها نضارتهم ، ويمرون على الريح يهبونها خطاهم ، ويمرون على الله فيستوقفهم ويظلهم بظله .

للذين هم سادة العشق ، وسادة الشعر ، وسادة الكلم البديع ، للذين هم أبلغ منّا جميعاً ، أبلغ من قصائدنا الباهتة ، ومقالاتنا المحبرة ، للذين لم يهبوا الوطن كلاماً فارغاً ، للذين لم ينهبوا أحلامه ، ولم يسرقوا مصابيحه ، ولم يخزقوا مشكاته ، ولم يكذبوا عليه .

للذين ترتاح على هاماتهم رايات الوطن ، ويتربع في حبات قلوبهم نشيده ، للذين أحبّهم وأرى الله في عيونهم ، أرى الأنهار ، والأشجار ، أرى الملائكة والأنبياء . أرى الأطفال الخمسة الذين قتلوا غيلة . للذين عيونهم لم تنطفئ حين أشعلوا قيامتهم ، قلوبهم لم

تسكت عن الغناء حين صاغوا نشيدهم النوراني ، للذين سالت دماؤهم حقولاً ، وغابات ، وسهولاً ، وأشجاراً عالية ، وجذوراً راسخة الذين تركوا رسائلهم ومضوا ، متوضئين بعطر الشّهادة .

للذين ضيعتهم الأمة ولم يضيعوها ، للذين خذلتهم الأمة ولم يخذلوها ، للذين ظلّوا على العشق ، ظلوا على العهد . للذين رأيت الله في عيونهم ، أتيح لهم وجعي ، وأمنحهم هذا الجسد المُعنى ، علّني أشاركهم هذا العطب الجميل .

---

(1) الأطفال الخمسة الذين اغتالهم الصهاينة في واحدة من مجازرهم البشعة .

الكتابة الرخيصة وأشياء أخرى

(1)

تكسّب

قديماً قالوا تكلّم حتى أراك .. ويمكن لهذا القول أن يحوّر قليلاً ويصبح : اكتب حتى أراك .. فالكتابة لسان حال صاحبها.. لسان حال مكنوناته وجوارحه ومشاعره .. إن الكتابة مسؤولية ، مسؤولية حقيقية وأمانة ، ولا مجال لاستغلالها ، أو جعلها مطيّة للتكسب والارتزاق أو التقرب أو التزلف.

.. وتظل الكتابة في مجال الفن هي الأكثر عرضة لتسرب المتكسبين ، نظراً لحرص هذه الشريحة على الظهور وعلى " التلميع " المستمر ، فقد جنّد عدد من هؤلاء الفنانين بعضاً من الصحفيين لمتابعتهم خطوة بخطوةَ بل نَفَساً بنفس ، ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحدّ ، إنّما تورّط عدد منهم في مشاكل هؤلاء الفنانين ونزاعاتهم . وحريّ بالكاتب أن يربو بنفسه عن هذه الممارسات التي تسيء إلى هذه المهنة الشريفة .

أقول هذا الكلام وأنا أتابع بعض الصحف والمجلات العربية التي تترخص وهي تتحدث عن الفنانين وتسهب في " التطبيل " لهم ، على قدر ما يدفعون وعلى قدر ما ينتفعون من ورائهم .

(2)

أين كاظم الساهر؟

إن الفن رسالة عظيمة .. والفنان يأتي في طليعة المبدعين المؤثرين في الرأي العام ، وهو قادر لما يتمتع به في قلوب مجبيه من التاثير عليهم .. وتبرز أهمية الفنان بشكل خاص حين يمر وطنه بظروف حالكة فيكون هو بمثابة النبراس الذي يضيء ، والبلسم الذي يشفي الجروح .. وأتساءل هنا عن كاظم الذي غنى لبغداد والذي سأل: (هل خلق الله مثلك في الدنيا أجمعها) أين هو منذ بدء الحرب على هذه الجميلة ، لماذا لم نسمع له صوتاً .. مازلنا نذكر دور" أم كلثوم " ورحلاتها من أجل دعم المجهود الحربي ، وللتصدي للكيان الصهيوني.. أين اختفى كاظم ، لماذا لم يظهر حتى هذا الوقت ؟!!

مـــأساة أخـــرى

يـــبدو أن الفـــن العـــربي في هـــذا العصـــر ، موعـــود بالنكـــبات والخيـــبات ، ويـــبدو أن الفـنـانين العـــرب ســـيكون مكـتوباً علـيهم أن يرصدوا هذه الانكسارات المتوالية لأمتهم .

لا شـك سـتأتي أغـان باهـتة مـن جديـد ، تـتحدث عـن نكـبة بغداد ، بعد دمـار بغداد ، وعـن ذبـح أطفـال بغداد المذعورين .. تُرى ما جدوى الفن الـذي يقف الآن شـاهد عيان على سقوط بغداد التاريخ والعراقة والحضارة ، وما هو موقف الفنانين العرب؟

وما هو دورهم الريادي في التحريض .. تُرى أيّ فن نريد ؟

فن لا يخذل أهله وقت الشدائد .

" وليمة عقود رمضان "

قد يباح الاسترزاق في أشياء تحت طائلة الضرورة ، والتعيش والتكسب ، وقد تُداول أوراق المجاملة بين المجاملين في أمور كثيرة . أما الفن فلا .. فهو ليس إقطاعية يملكها . شخص أو أشخاص ، وليس ملكاً يتوارثه المتوارثون .

إنه شأن عظيم ، له علاقة بالمنظومة القيمية والأخلاقية للوطن.. وحين نقول " الوطن " فهذا خط أحمر ، وأي مساس به هو لعب بالنار .. وأي عبث بمكوناته هو شروع حثيث في التفسّخ والمسخ .

فالفن ملمح حقيقي من ملامح الهويّة وهو جذر أصيل في جذع الأصالة .. وأجمل ما في هذا الفن أنه يفضح المسترزقين ، والأفّاقين والمدّعين ، وتكون فضيحتهم كما يقولون مجلجلة ، وسقوطهم مدوياً .

لماذا نقول هذا ؟ نقول هذا لأننا شاهدنا في شهر رمضان المبارك [1] كماً غير قليل من الهزل والتسطح ، وصفوفاً من المسترزقين ، وكأن ثمة وليمة الجميع يتقاطر عليها و" يداعك " (وليمة عقود رمضان) يخشى أن تفوته الفرصة في هذا " المولد " كما يقول جيراننا.. تهافت غير مسبوق على اقتناص فرصة لا تعوض هاتوا من هبَّ ودبَّ ، ومَنْ هبتَ ودّبت ولم لا .. فالوليمة تتسع الجميع .. نادِ

---

(1) الإشارة إلى برامج رمضان في المرئية الليبية ، 2003 ف .

(فلان) وإياك أن تنسى (فلتان) واتصل بعلان والشيء نفسه ينطبق على فلان وفلتانة وعلانة سوق مفتوح الأبواب .

فلماذا لا يجد المسترزقون فيه فرصتهم .. والفرصة سنوية .. ولاثمة مشكلة ولا موهبة ولا حضور ولا استعداد .. هذه أشياء تافهة .. المهم قدرتك على أن تكون بليداً ، بلادة تمكنك من الادعاء بأنك ممثل رائع وأستاذ كبير ..

الاسترزاق في الفن وبالفن .. كارثة حقيقية .. لا يمكن أن نسمح لها بالاستمرار .. فكما ذكرت ، الفن مكوّن من مكوّنات الوطن الأصيلة.. فهل يُطال حتى هو بالعبث بعد أن فرغوا من العبث بأشياء كثيرة وثمينة ، لم ينجُ منهم شيء .. بعض ما شاهدناه في الإذاعة المرئية.. لا علاقة له بالفن ، ولم يصادف حتى أدنى اشتراطاته . في الوقت الذي نشدّ على أيدي المخلصين الذين حاولوا أن يقدموا شيئاً فنياً .. خاصة وأن المشاهد الليبي أبدي تجاوباً كبيراً مع بعض الأعمال التي نفذت .. واستطاعت أن تنزعه من براثن الفضائيات .

نتمنى في رمضان القادم - بإذن الله - طالما أن هذه الأعمال أصبحت موسمية نتمنّى ألاّ يكون هناك مجال للمجاملة وللاسترزاق. في هذه القيمة الرائعة التي ندعوها بكل الحب (الفن) حتى نستطيع أن تنهض برسالتها العظيمة ، في تنمية الذائقة الفنية لدى المواطن ، وغرس بذره الجمال في أعماقه ، والإحساس بقيمة الإبداع وسموه ، ما ينعكس على سلوكه وشائجه بالوطن .. فلا تمتد يداه أبداً إلا العبث أو الإفساد ، أو التشويه .. وكل عام وأنتم بألف خير .

انتبه .. فضحتك الكتابة

خطيرة هذه الكتابة .. خطيرة حدّ النار وحدّ الوجع .. خطيرة حدّ الموت أحياناً .. والويل لمن يخدعها.. الويل لمن يخاتلها لمن يمتطيها ، أو يستغفلها أو يكذب عليها ..

خطيرة هذه الكتابة بقدر ما هي متاحة ، بقدر ما هي مغلقة .. كثيرون استسهلوا أمرها .. لم تمنعهم .. لم تصدهم ، جعلتهم بإثمهم يتباهون ويظنون أنهم ملكوا أمرها ، وصارت طوع أصابعهم لكنهم يتناسون أنهم حين يكذبون وحين يستسهلون يخطون " فضيحتهم " وسقوطهم المروّع ..

أقول هذا الكلام حين يطالعني نصّ أو مقال ، فيه خداع للكتابة ، وتآمر على نصاعتها ونقاوتها . أن تتحول الكتابة إلى هذيان معلن " هذيان بجلاجل كما الفضائح بجلاجل .. هذيان علني ، أو كما يقول إخواننا المشارقة " على عينك يا تاجر " .

دونما خجل يرتكب فعل الكتابة المشوّهة ..الكتابة التي ترتد إلى صاحبها منكسفة منكسرة ، باهتة .. ترتد إليه لأنها لا تصلح للتداول البشري .. تماماً كما الأغذية التي انتهت صلاحيتها .

هل يفطن من يتصدى للكتابة إلى هذه المسألة .. هل يمكن أن تزيّل الكتابات بتاريخ للصلاحية .. مثلاً يكتب : هذا المقال لايُنصح

بقراءته بعد ساعات من مطالعتك إياه .. أو هذا النصّ صالح لشهرين أو ثلاثة اشهر..

وعرة هي الكتابة .. وعرة حدّ النزف وحدّ الجرح ولها ذاكرة الصلد .. تعرف " النبلاء " بسيماهم وتعرف " المزوقين ".

تُرى كم مرة كنا نبلاء .. وكم مرة كنا مزوقين .. كم مرة في زوايانا التي نكتبها ..

كم مرة كانت زوايانا قائمة وكم مرة كانت حادة وكم مرة كانت مستقيمة ، وكم مرة كم كانت منفرجة .. وكم مرة كانت شبة منحرفة ؟!!

كم مرة استغلينا هذه المساحة المستقطعة من جسدٍ عزيز جسد الثقافة وقلنا هراء وكلاماً فارغاً وهذياناً واجتراراً لكلام باهت لست أدري وربما أدري.

يا الله كم خطيرة هذه الكتابة !!

تفكيكات إجرائية

تفكيك أوّل

حين تمارس " المفردة " ولا نقول " الكلمة " لعبة " الانحراف " سعياً منها لمغادرة " التابوت المعجمي " ، فإنّه يتعين عليها أن تقوم بعدد مهم جداً من " الإجراءات " التي تتيح لها خروجاً سلمياً آمناً من هذا " التابوت " ، ولكي تتحقق لها " المعادلة "" الانحراف " و" القانونية " في الوقت ذاته ، تبذل " المفردة " في خفائية الذهنية المتصدّية لفعل الانحراف ، كمّاً من الممارسات مستدعية كلّ ما أوتيت من خبرات وقدرات .. كانت قد اكتسبتها من خلال " رحلاتها " المنهكة بين " فكى الازدواجية " التي تظل المفردة " تتكوّر " فيما بينها .

ونقصد بالازدواجية .. أو لنقل " الازدواجيات " هي تلك " المتضاربات " التي تطوّق بفرماناتها عنق " المفردة " قبل أن تجرؤ وتقتحم دائرة " الكلام " وليس للمفردة من سبيل لاكتساب " احترامها " وإدراك غايتها الأدائية السليمة ، التي تتيح " للممارسة الذهنية " " التجلّي " في تمظهرات سويّة ، ليس أمام " المفردة " إلا الوفاء للأطر النحوية والدلالية والسياقية .

وهناك جهود مخلصة ، أثبتها " اللسانيون العرب " الذين حاولوا

رسم ملامح أوّلية للألسنية العربية . وتبرز هنا ممارسات شيخ الألسنيين العرب ابن جنّى في كتابه " الخصائص " ، وكذلك الجاحظ في كتابه (البيان التبيين) كما استطاع الجرجاني أن يثبت في (أسرار البلاغة) خطوات إجرائية مذهلة في هذا السياق . ولا يمكن أن نغفل المحاولات الجريئة لابن مضاء القرطبي في كتابه " الردّ على النحاة" على الرغم من ارتباك منهجه . وستكون لنا وقفة مع ابن مضاء.

كذلك لابدّ أن نشيد هنا " بالذهنية المتقدة" لابن هشام في تعاطيه مع " المسائل العشر الكلبة " في مغنى اللبيب . هذه الجهود كانت تنضوي على محاولات تأسيسية حقيقية ، لاستكناه أدائية اللغة بعامة والعربية بخاصة ، وكشف أسرار منظومتها النحوية ، التي لم يستطع الأستاذ محمد المالكي - للأسف - الوفاء بأبسط اشتراطاتها.

تفكيك ثان

قبل أن أعرض للممارسات النحوية " غير السليمة التي وقع فيها أو توهّم صحتها الأستاذ / محمد عبدالحميد المالكي .. في مقاله المعنون " تجربة الكتابة الركحية وديناميه العلامة اللغوية ، مسرحية المستشفى نموذجاً ".

سأعرض لأكثر الآراء جرأة وعلمية في محاولة نسف بعض مكرّسات (المنظومة) النحوية وهو ابن مضاء القرطبي الذي دعا إلى إلغاء الحذف والتقدير ، وإلى إلغاء العلل الثواني والثوالث ودعوته إلى إلغاء التمارين النحوية . ولم يرد في كلام ابن مضاء دعوة

(لتعطيل) عمل " كـان " أو " إنّ" أو " المشتق" إذا توفّرت فيه الشروط أو نصب الخبر، أو الإخلال بنظرية " العدد والمعدود ".

في الواقـع مـن خلال تصفّحي للمقال القيم، نعم أقرّ بأنّه مقال قيم في مجاله ويشكّل إضافة في المعالجة النقدية الإجرائية المسرحية على مستوى النقد المسرحي الليبي، استطاع المالكي أن يهضم بذكاء الطـروحات المـناظرة، ويستدعيها ويطـبقها بوعـي عـلى مسـرحية المستشفى .. للمخرج المعروف داوود الحوتي وإن أفلح المالكي في هذا، فإنه للأسف لم يفلح في إدراك اشتراطات أو استحقاقات المفردة) في دائـرتها (الكلاموية) فجاءت مرتبكة، غير مدركة وغير قادرة على التعاطي بشكل صحيح مع (المؤثرات والعوامل) التـي ترتّب تفاعلها السـليم معهـا، وإعلانهـا (حيويـتها) في التـناغم مـع (رسـائلها) الموجّهة إليها .. فظهرت في أقل من ثلاثين صفحة من القطع المتوسط (أربعـون كـلمةً) مرتـبكة غـير مدركـة للعـبة الـتفاعلات، فـبدت (مشوّهة) أو (فاشلة) في فكّ شفرة كيميائية النسّق النحوي.

تفكيـك ثـالث

نمـاذج مـن الارتـباكات الـنحوية الـتي لم يفـلح في تجاوزهـا المـالكي، ربمـا لانهماكـه في صـياغة خطابـه في إطـاره (المعـانوي) فاختل منه في تمظهره (النحوي) (كان متحصل - بل هم متطوعين - يتقاضون أجر - ثلاث عروض - أربع نصوص - هو تصنيفاً كميّاً - هو بطلاً - ليس هناك دوراً كبيراً ودوراً صغيراً - كأنّ المتلقي برميلاً).

إن هذه الارتباكات النحوية لا تقلل من شأن الجهد المبذول في هذا التعاطي المغاير من لدن المالكي لمسرحية " المستشفى " إنّما هذه بعض الأفكار دارت بذهني فأردت إثباتها مع كامل التقدير لجهوده البحثية.

السيميائية الشعبية

شعبان عبدالرّحيم - نموذجاً

إنّ التّمظهر " الأناوي " الذي مارسه - بذكاء تداولي ، شعبان عبدا الرحيم ، في أغنيته التي مطلعها (أنا بأكره إسرائيل) .. من دون أن يعلن ذلك في بيانة المنجز الذي قدّمه على صعيد الأداء ، الذي ، أفلح - أيضاً - شعبان ، في استعراضه - دون فذلكه - تمظهراته الاعتيادية ، لم يجرؤ أحد على بثها بهذا القدر من الفجاجة ، وفق معايير (السيميائية الباشوية).

إنّ الإقصاء الذي مورس على السيميائية الشعبية ، واستهجانها من قبل المنظرين للأداءات المعبأة المعلبة ، التي كدحت على خطاطها، دوائر غير مرئية ، لكنها ظلّت تصرّ على خلع القداسة الاتصالية عليها ، هذا الإقصاء " العمدي " الذي احتكر الصدارة لمنجزه عبر عقود وعقود ، ولم يتجرأ أحد ، كما - ذكرت - على خرقه ، تعرّض لهزة كبيرة .. حين سقطت " السيميائية الباشوية " في مناطق القطيعة ، مع " اليومي " المخيف ، القادر على قلب الأوراق ، واستبدال المواقع لقد ظنّت السيميائية المستعلية " أنّها قادرة على احتكار الصّدارة لنفسها ، ولم تنتبه إلى أن المواقع التي تشبثت بها ، بدأ ينخرها السوس .

من هنا كانت " السيميائية البديلة " تشتغل على نفسها ، وقد أدركت أنّ الوهن تسرّب إلى أوصال " السيميائية الديوانية " في هكذا مناخ

، كان اليومي " والسوقي " و"التداولي " يهيئ ، بل يصنع نموذجه السيميائي ، بتمهل ، في الوقت الذي كان يظهر فيه ولاءه ، للسيميائية الديوانية .

ومن السذاجة أن نسلّم - على المستوى التنظيري - بأنّ شعبان عبدالرحيم هو فعل فردي ، او تمظهر آني ، أو طفرة ، أو لوثة.

إنّ هذا " التمظهر الفجاجي " لشعبان الذي شكّل تصادماً قاسياً مع المؤسسة السيميائية الرّسمية ، لابدّ أن يخضع لتنظيرات واعية لأن هذا التوقيت التمظهري .. وبهذه الهيئة المحتفلة بالابتذال والتستطّيح ، في منظور المؤسسة الفنية التراتبية ، يشي بانقلابات جذرية على كل الأصعدة السيميائية ، التي بدأت تفقد مواقعها ، بعد هذا " التبركن " الذي هزّ " الديوانية " الفنية .

في الجزء الثاني ، سندرس سيميائيا ، نصّ أقصد أغنية شعبان عبد الرحيم - " أنا بأكره إسرائيل" ، وفق مستوياتها وأسئلتها المتعدّدة ، وتمظهراتها المتباينة وسياقاتها الصّوتية والصّرفية. ؟!!

إنَّ النقد الأدبي .. إبداع لاحق موازٍ للنّص ، وهو إجراء فنّي يعيد الحياة للمنتج الإبداعي ، وينبّه إلى موّاطن الإبداع فيه ، ويظهر جهد الكاتب ، ويرصد إضافاته ، ومدى إثرائه للجنس الأدبي أو المعرفي الذي يتعاطاه.

من هنا كانت أهمية الممارسة الجادة لهذا (الشغل) النقدي ، الذي يتصدّر الأدوات والآليات ، المعوّل عليها في تفعيل وتطوير ، النتاجات الإبداعية .

ريــم آهٍ يــا ريـــم [1]

أولاً أرجــو ألــف رجــاء ألا يُقصـى هـذا الموضـوع ، فهـي مجـرد وجهات نظر ، نأمل في مجال الشفافية المعلنة أن تطرح ..

"ريــم" آه يــا ريــم ، مـع كــامل تقديـري غـير المتـنـاهي لعملـك الخــارق ، ولشـجاعتك النـادرة إلا أنّـني يـا أخيّة الجـرح ، بكيـت كثيراً كثيراً من أجلك ، حـين علمـت أنّك أمّ لطفلين صغيرين .. وأنّك بعد في عشرينيات عمرك .. طفلاك في مسيس الحـاجة لك ، طفلاك يتطلعان إلى وجهـك ، يـتطلعان إلى حضـنك .. إنهمـا جمـيلان مـثلك تمامـاً .. وأنـتّ أمّ وهمـا عصفوران لم يغادرا العش بعد ، ما يزال ريشهما زغبا ، مـا يـزالان ينـاغـيان ويبسـمان لـك . لمـاذا لم تسـتمعي إلى توسّـلات عيونهما ، لقد تشبثت بـك أكفّهـم الرقـيقة الحـانـية .. لكنك مضـيت ملتحفة بالموت : عملك بطولي لاشك ونفسك عالية .. لكنني أقول .

بئسـت أمـةً تلـك الـتي تعتصـم بجسـد أمّ لطفلـين وتـزين لهـا الموت ، بئست أمة تلك التي دفعت بـ " ريم " الأم لتذود عنها ، واكتفت هي بالصمت المذل ، بئست أمةً التي تستلقى على ظهرها وتدفع بناتها للموت .. الإسلام لا يقول هذا .. الإسلام يقدس الحياة ويقدس الأمومة والطفولـة ، وكفانـا مـثلاً مـا فعلـه النـبي العظيم ، حـين جاءتـه امـرأة ارتكبـت فعل الزنا ، جاءته معترفة بإثمها ، فأخذ يردّها المرة تلو الأخرى ، وهي تـلحّ علـى إيقـاع الحـدّ عليها وهـو الـرجم حتـى المـوت . لمـاذا ردّهـا

---

(1) ريم أم فلسطينية قامت بعملية استشهادية وهي أم لطفلين رضيعين .

النبي وهي المعترفة بل المطالبة بالعقوبة ، بل المصرّة عليها . الجواب لأنها أمّ ، جاءت تحمل وليدها ، وليس مَن يتولاه بعدها . بئست أمةً التي تدفع أمّهاتها إلى الموت .. لا يمكن أن نخدع أنفسنا ونبارك هذا ونشيد بمن أفتى لها بهذا . فهي أمّ لوليدين صغيرين ، لم تقل السماء بهذا .. أين مئات الملايين من العرب ، الألف مليون مسلم .

إن لم يتحركوا للتحرير وإن ألفوا المذلة والمهانة .. فايّاهم والأمّهات .. ريم ستظل تستصرخ مُدينة هذه الأمة الميتة وسيظل طفلاها يستصرخان .

حين كان الإسلام في أوج حاجته لكل ساعد مسلم للذود عنه ، لم يبح ذلك ، بل كان النبيّ الكريم الكريم يردّ المتطوعين للجهاد في جيش المسلمين ، إذا كان لديهم أبوان يقومون على رعايتهم ، ولا راعي لهما سواهم ، فما بالك بطفلين رضيعين ؟

حزنت بل نزفت وأنا أشاهد جنازة هذه الشهيدة الأم ، ونزفت من أعماق قلبي وأنا أشاهد طفليها ، وازدادت نقمتي على هذه الأمة البائسة هل شططت في الرّأي ؟ أرجو تبصيري في هذا الأمر ، هل يجوز أن يفتى لأمّ لطفلين رضيعين بالاستشهاد ؟

ترى بماذا سينعتنا التاريخ حين يعلم أننا في فترة من تاريخنا دفعنا أمهاتنا للشهادة وجلست جيوشنا (تتشمّس) ، بأننا دفعنا بجسد أمّ ما يزال في صدرها حليب لصغيريها ، بينما تراجعت كل أسلحتنا . بماذا سينعتنا التاريخ - نحن العرب - ونحن نهيىء الجنازات لأمهاتنا . أشعر بمرارة في هذه الخلجة ، مرارة واشمئزاز من هذه الأمّة التي مارست كل أنواع القهر على المرأة ، ولم تبح لها حتى كشف كفيها . لكنها أباحت لها تفجير نفسها وترك رضيعيها"!!!

من يصنع الأبطال الوهميين

من أسوأ عادات المؤسسات الرّسمية في البلدان العربية ، هي خلقها وصنعها لأبطال وهميين ، وإسهامها في منح بطولات مجانية لأناس " جوّف" كما يقول جان بول سارتز هؤلاء الرجال الجوّف .. هم كالطبل قد يكونون متضخمين إلى حدّ كبير ، ومنظرهم يثير " الرّهبة " لكنهم في كل الأحوال يظلون " طبلاً " هذا " الطبل " يمكن أن يظل طيلة عمره طبلاً أجوف .. حتى تمتد إليه الأيدي وتطرق عليه بقوة فيعلو صوته ، ويزداد ضجيجه ، وينتشر صخبه .

وهذا حال المؤسسات العربية الرّسمية ، ولأن بيوتها من زجاج ، مع ادعائها عكس ذلك ، وإنها متمترسة داخل حصون منيعة ، وقلاع حصينة ، إلاّ أن شقشقة عصفور تزعجها ، وتربكها ، وتجعلها تُعلن حالة الطوارئ ، وتدقّ أجراس الخطر ، وتعدو في ملاحقة العصفور ، ولا يهنأ لها بال ، حتى تدهس هذا العصفور ، وترقص فوق جثته ، لتخرج على الملأ ، في هيئة الكذب ، مصورة العصفور ، على أنه " ديناصور"!!

وهذا يرجع إلى غباء هذه المؤسسات وغباء القائمين عليها ، الذين لا يترددون في خلع البطولة على أناس مساكين ، لا وزن لهم ولا قوة ولا حيلة ، لكنها بغبائها الأصيل - أي هذه المؤسسات العربية الكئيبة ، تضخم الفئران ، وتؤفيل النمل ، وتصنع أناساً ، كان من الممكن أن يظلوا

طيلة حياتهم ومماتهم ، نكرات لا يسمع بهم ولاعنهم أحد .

هذه المؤسسات تتوكّل على الله ، تلاحق فلاناً ، تصادر علاناً ، فإذا فلان بطل ، وإذا علان رمز وطني .

أسلوب قديم باهت ، على هذه المؤسسات ، أن تتخلص منه وتكف عنه ، لأنها بذلك تنتهك حُرمة التاريخ ، وتهرّب إليه ، عبر سراديب مظلمة ، بشراً لا علاقة لهم بالبطولة الحقيقية ولا بالأمجاد .

ويبدو أن بعض الماكرين من الجوّف ، اكتشف نقطة ضعف هذه المؤسسات ، فأخذ يستفزها بما يفزعها وهو سراب ، حتى تسارع لملاحقته فيغدو بطلاً ، يُشار له بالبنان ، وهو في حقيقة الأمر من الفئران ولكن إذا كانت المسألة متاحة فلم لا ..

وقد هيّأت شبكة الانترنت الفضاء أمام هؤلاء (المبتزين) الأبطال الوهميين ، فأخذوا يمارسون ابتزازهم (للدولة) علانية ، في أحدث طريقة للابتزاز.. للمؤسسات الرسمية المرتعشة ، الخائفة من ظلها.

متى تكف المؤسسات الرسمية عن صنع أبطال وهميين ومنح بطولات مجانية لمن لا يستحقون ؟!

منهج يُبيح ومجتمع يحافظ !!

بداية أتساءل عن مصدر هذه العبارة " لا حياء في الدين " وسؤالى للتأصيل وليس للتقليل . هذه العبارة التي تحت جناحها وفي ظلالها تفصل التفاصيل في موضوعة علاقة الرجل بالمرأة ، وخاصة ما يتعلق بالمرأة والخوض في أدق تفاصيلها .. أحكي لكم قصة حقيقية في إحدى الإذاعات المحلية كان هناك برنامج ديني يطرح فيه السائلون أسئلتهم ، ويتولّى (الشيخ) الإجابة . اكتشف بعض (المنحرفين والمنحرفات) جرأة الشيخ أو لنقل وضوحه الشديد وهو يتحدث عن بعض أمور المرأة . فأخذوا يطرحون عليه الأسئلة الخبيثة ويتلذذون بسماع إجابات الشيخ الدقيقة ولماذا لا تكون دقيقة (فلا حياء في الدين) مثلاً وهو يتحدث عن طبيعة "القُبلة" التي تبطل الوضوء .

فبعض الشيوخ يضيق صدرهم لأبسط الأسئلة وقد ينعتون صاحبها بالكافر وإن أشفقوا عليه بالعاصي ، لكنهم يستبشرون ويفرحون حين يسألون عن أمر له علاقة بموجبات الغسل مثلاً . شيء عجيب سعة وضيق في آن . هل الحياء يُزال فقط في هذه الأمور ، ولماذا لا يزال في أسئلة أخرى عقلية مهمة ؟

الذي دعاني إلى هذا الكلام ، هو موقف تعرّضت له أنا

شخصياً في مواجهة (تلاميذ وتلميذات) كبيرهم لم يتجاوز السادسة عشرة ، في درس " الحج" لنستمع إلى هذه الفقرة : (يفسد الحج بالجماع الموجب للغسل مطلقاً (لو ناسياً أو مكرها) وباستدعاء مَنْى (ولو بنظر أو فكر) المصدر: منهج الصف التاسع (التربية القرآنية) .[1]

أولاً أنا كمعلم مطالب بالإجابة عن مفهوم (الجماع) وليس أي (جماع) الجماع الموجب للغسل ، وليت الأمر توقف عند هذا الحدّ ، بل مطالب أيضا بالحديث عن استدعاء (المْنى) ولو بنظر أو فكر) . شيء يبكي والله ، طالب في هذه السنة لن يفكر في الحج " قبل عشرين عاماً ؟ ، إذن ستكون هذه المعلومات تبخرت ، ما الجدوى من معرفتها الآن . وعجيب هذا البراح في عرض هذه الخصوصيات ، ماذا يفعل المعلم ، فلا حياء في الدين ، ليتحوّل الدرس من درس ديني وتربية دينية ، إلى درس جنسي وتربية جنسية. وإلا فليصمت أقول لكم أنا ماذا فعلت : حوّرت كلمة (جماع) وقلت معناها ألا يجمع الحاج في فكره بين أمور الحج وأمور الدنيا ، " والمنى" حورته إلى " المُنى " أي لا يزحم الحاج عقله بأمنيات أخرى غير أمنيات الحج) هل هذا صحيح.. يقول أحدهم هذا علم ؟

فأقول : وهل مفتتح هذا العلم يكون على يدي أنا ، وهل الصدمة الحضارية تكون على يدي ، في مجتمع يعتبر صوت المرأة

(1) بعد نشر هذا المقال أُدخل بعض التعديل على درس الحجّ وحّذفت منه هذه الفقرة في العام الدراسي 2004- 2005 مع تعديلات طفيفة أخرى .

عورة وكفيها عورة ؟ إذا كانت مصدراً للإثارة ، هل هذا يعقل ؟

الدرس نفسه هذه الجملة (كشف الرأس للرجل ، والوجه والكفين للمرأة إن لم يخش منها الفتنة وإلا وجب عليها الستر) يالهذه (الفتنة) التي تحاصر بها المرأة ، ويا لهذا الرجل المجهز والمعدّل للإثارة فأي جزء يظهر من المرأة يفتنه ويثيره ، والله بئس هذا مؤمنا ، لو كان كفّ امرأة يفتنه ويثيره ، والله إنّ المرأة أكثر منه جلداً وصبراً وتحسباً وهي تراه في الحج متجرداً من (المخيط والمحيط) إلا إذا اعتبر بعض الفقهاء ، المرأة معطّلة وحواسها معطوبة ، وغير قابلة للافتتان ، مع أنها الأوفر عطفاً ودفئاً وإحساساً .

أعود لمنهج التربية القرآنية ، فإماً أن يواكب المجتمعُ هذا المنهج ويبيح تناول هذه (الممنوعات في عُرفِه) وإما أن يتراجع هذا المنهج ، أو على الأقل ، لا يقع في هذا التسرّع لطلبة لم يتجاوزوا السادسة عشرة . في مجتمع متحفظ ويكون بهذه الجرأة والوضوح في الحديث عن (الجماع والجنابة والمني والعورة).

وإما أن يبيح المجتمع هذه الأمور ولا يتردد في طرحها جهاراً.

لست أدري ، مسألة بحاجة إلى نظر قبل أن أنهى حدثني صديق عن (خطيب) خصّص خطبة كاملة للحديث عن الحيض " بكل تفاصيله ، ما يخطر على بالك وما لا يخطر على بالك مستثمراً - كما ذكر - وجود نساء بالمسجد .

لا اعتراض لي على هذا ، ولكن أعجب كما ذكرت من .. هذه الفسحة غير المحدودة في هذا المجال ، أسال عن أي شيء بداية من والله أستحي من ذكر هذه الأشياء إلى .... لن أخوض أكثر في هذا الموضوع .. الذي يعنيني هو " المنهج " المبيح والمجتمع المحافظ .. والفقهاء المبيحون على المنابر وفي مكاتبهم ، والمتحفظون في بيوتهم.

ماذا نفعل في هذه التناقضات ؟!!

ملح المزداوي في خبزي [1]

دونما أن أدري ، وبينما مقود السيارة يرتاح ببلاهة بين يدي ، والبحر المسكين ينشر انتظاره الممل مع أولى شعاعات الصباح وجدّتني أردد:

كأي عريفٍ في الجيش
كان قوياً
ينهر الجنود المارقين
ويحرص على التقاليد
العسكرية *
إلى نهاية النصّ

لا أدري كيف تسرّب " ملح " المزداوي إلى خبزي اليومي .. هذا الخبز المتجدّر قمحاً في طمي القلب

هذا الخبز المعجون بدقيق اليأس
ودقيق الخوف ، ودقيق الصبر

---

(1) " أرجومة" نص من نصوص المجموعة الشعرية الأولى للشاعر أبو القاسم المزداوي" الهمس بنية الجهر"

ودقيق الأشياء الميتة كمرافئ

هذا البحر

ودقيق الأشياء المهجورة

إلا من كل زيارات القهر

لذاك " الحي الشعبي

كيف تسرّب ملحُ المزداوي

كيف البحر البائس لم يجرؤ

أن يمنحني ملحه

ذاك الملح المتخدر

ذاك الملح المتخثر

وتسلل نحو " الأرغفة "

الستة ملحُك

ارتعشت أرغفتي المختبئة

تحت الأجنحة الهاربة من

قرصات الفقر

ومن قطّاع الطرق المنتعشين

بخمر الذعر

تسرّب " ملحك " شجناً

مثلك أنت

تضج في أقبية الصّمت

يحيا الفقر .. يحيا الفقر

حين يكون الفقر خيارا

ويحيا السجن

حين يكون السجن

فراراً

ويحيا " الحي الشعبي "

حين يكون بيتك

فيه مزاراً

يقول الأبناء الوهجُ

المنفلتون من أدران الوقت

(فلّمت) هل فلّمت

آه يا هذا المدنيُّ الطيب

حبي لك .. وملحك في
قلبي يشبه ملحي
وقمحك يشبه قمحي
وجرحك يشبه جرحي
فسلام حتى يؤوب البحر
وسلام حتى يؤوب الطير
وسلام حتى يثمر ذاك
الشجر المنسيّ
وحتى يبني " ارحومة "
كوخاً لا يهدمه الحرسُ
البلدي .

الجسد مهرجان

تقول الكنيسة : الجسد خطيئة

يقول العلم : الجسد إله

تقول الإعلانات : الجسد مشروع تجاري

يقول الجسد : أنا مهرجان

إدواردو غليانو

وأنا أقول الجسد قصة طويلة ، قصة نبيلة على الرغم من كل التزويرات التي مورست ضده ، على الرغم من كل الإقصاءات ، على الرغم من كل المصادرات .. ينهض الجسد شامخاً نافضاً عن صفحته البيضاء ، ركام كل العذابات .

الجسد امرأة تؤثث الكون على مزاجها ، الجسد أنا تقول التفاحة الأولى ، وتقول القبلة الأولى وتقول الأنثى الأولى ، التي هيأت الكون للشعراء والمجانين .. الجسد أنا تقول السعادة .

الفـــرح

يقول الفرح : أنا متاح ، أنا مهيّأ للركض بامتداد العالم ، أنا صديق القلوب التي تسعني ، يقول العالم : مَنْ سرق الفرح ؟

تقول أمي : من سرق بسمتي ؟

يقول الشعراء من صادر الفرح ؟

يقول المحبون مَنْ أخرس الشفاه؟

بـــــراءة

علمني أطفالي أن العيون تولّد بريئة ، غير ملوّثة ، وأنّها تولّد محبة للجمال ، غير مذعورة ، ونحن فقط من يُلقى في حدقاتها بأسماك الشر.. علّمني أطفالي أن العيون جميلة لا تحمل إلا الطهر ، ونحن فقط من يصيبها بالآثام .!!

نـهـــاونـــد

الحرية حلم .. والحلم أمنية تجرؤ على التحقق ، ولا يملك احد أن يصادر الحلم . " نهاوند" حلم فنان مشروع بشريعة الحرية ، ارتأى أن يُسمى ابنته أو حلمه " نهاوند" أشهرت في وجهه اللوائح والقوانين حفاظاً على عفاف اللغة العربية ، واللغة العربية أعرفها وهي صديقة قديمة لي ، ولا تضيق ذرعاً بأيّ مفردة جديدة ، فهي لا تعيش بعقلية الخوف أو عقلية " البوليس" لذلك عاشت ونمت وترعرعت ، وأبدع فيها غير العرب ، وفرحت بإبداعاتهم ، واحتضنت مفرداتهم الجديدة، التي أثرتها ، وأصبحت جزءاً من نسيجها .. إن اللوائح التي تصادر الأحلام المشروعة لابد أن تنسحب من حياتنا .

طفولة

لم نكتف فقط نحن الكبار، بمحاصرة الصغار، والتجسس على أحلامهم، وإنشاب عيوننا في قلوبهم ونبش صدروهم، لم نكتف بذلك ففرضنا عليهم أن يعيشوا طفولتهم " هرمين" وحولنا كلمة " طفل " إلى إهانة، فسارع الصغير إلى التخلص من كل ما يجعله ينتمي إلى الطفولة .. حتى يسارع الكبار ويهبونه لقب " رجل" وهو لا يريده في هذه السن هو يريد أن يكون طفلاً وكفى، طفل ببراءته وشغبه ونزقه وفوضاه، لا يريد أن يكون حكيماً أو قديساً، وليتمتع الكبار بالحكمة - والقداسة -، وليتمتعوا بكل هذا الكمّ من الفشل في ممارسة الحياة .

أحبك

اسمعي : أحبك هذه واحدة، وأنا ورطة تاريخية لا سبيل أمامك للتخلص مني، ولا سبيل أمامك لنزعي من قلبك، فقد تسرّعت وأسلمتني مفتاحاً من نسخة واحدة، وأنا لم أتردد في مبايعتك حبيبة مدى الحياة، وقد حوّرت وطوّرت في غرف قلبك، وأشرعت نافذة على باحة روحك، وتورّطت هي أيضاً في محبتي، والشيء الذي ربما لا تعلمينه أنني عقدت توأمة مع نبضات قلبك، فاختلطت بنبضات قلبي، وفقدت وقارها وحكمتها، وراق لها نزقي، وتعوّدت فوضاي.

وأتساءل إذا فكرت في الرحيل : فهل بإمكانك أن تتخلى عن قلبك وروحك ؟ ألم أقل لك إنها ورطة .

بـوح البنفسـج

حدثني الميهوبي قال:

كنت أسعى للقائهم .. أجيل عيني بحثاً عنهم ..

لقد تأخروا قليلاً ، لكنهم سيأتون .. أبلغني د. على عُقله عرسان رئيس اتحاد الأدباء والكتاب والعرب بأنهم قادمون .. وستكون لهم مشاركة فاعلة في ندوة .. الطفل العربي على عتبات القرن الحادي والعشرين التي انعقدت بمدينة بنغازي في شهر الربيع الفائت [1]وبالفعل جاءوا بوفد رفيع .. وبمساهمات فاعلة ودار بيني وبين رئيس اتحاد الأدباء والكتاب بالجزائر الشقيقة ، حديث طويل لم ألتقه من قبل ولكنني كنت أتابعه بشكل جيد ، كقامة ثقافية فكرية .. إنه الشاعر والكاتب الجزائري المعروف / عز الدين الميهوبي تواصلت وإياه بسرعة مذهلة .. كنت متشوقاً بل متحرقاً لمعرفة الكثير والكثير عن المشهد الإبداعي في الجزائر فللأسف ، يظل التواصل بين أقطار المغرب العربي ، دون المستوى المطلوب ، وتظل المعرفة البسيطة المتوفرة لدى البعض هي نتاج جهود شخصية . سألت الميهوبي على مدى إطلاعه على الأدب في ليبيا .. فقال للأسف ليس

---

(1) التقيت الميهوبي على هامش اجتماعات المؤتمر العاشر لاتحاد الأدباء والكتاب العرب الذي انعقد بمدينة بنغازي شهر الربيع - مارس 2003ف.

هناك تواصل حقيقي بين الأدباء والكتاب في المغربي العربي فقد أتيحت لنا فرصة التعرف على بعض ملامح المشهد الإبداعي الليبي من خلال لقائنا بالروائي د. احمد إبراهيم الفقيه ، الذي ألقى عدداً من المحاضرات القيمة في عدد من المدن الجزائرية .. كذلك تعرفنا على الشاعر / راشد الزبير في احتفالية الشاعر الجزائري مفدي زكريا.

إن حالة القطيعة أقصد القطيعة الثقافية بين أقطار الوطن العربي بعامة والمغرب العربي بخاصة ، هي حالة قسرية و تعسفية ، ويجب تجاوزها ، والعمل على إقامة جسور من التواصل بين المثقفين والمبدعين والمفكرين والفنانين .

إن إقصاء هذه الشرائح المتقدمة ، ذات العلاقة المباشرة بالوعي الجمعي والوجدان الجمعي كفيل بإفشال أي مشروع نهضوي وتنموي واتحادي بين أقطار الوطن العربي ، ما الذي يمنع أن تقام أسابيع ثقافية ، بشكل فعال ، يسهم في مدّ الجسور وخلق كيان عربي قوي .. لابد من وجود تلاحم حقيقي بين المبدعين ، لابد من خلق حوار متواصل ، ولقاء متواصل .

حدثني عز الدين المهيوبي عن الأدباء والفنانين والكتّاب والصحافيين الجزائريين ، ضحايا الإرهاب المقيت الحاقد ، الذي أودى بأكثر من سبعين مبدعاً وفناناً ، لكنه لم يستطع أن ينال من مقدرتنا على الاستمرار وعلى محبة الحياة ومعانقة الوطن ، على الرغم من ملاحقة أسلحة الإرهاب ، للمبدعين في كل المجالات ، إلا

أنـه فشـل في إسـكـات هـذه القـرائح المـبدعة ، أو مـنعها مـن ممارسـة صلواتها في محراب الوطن .

حدثني الميهوبي : عن تجربة المسرح الجزائري ، وقال : إن أهم ما يميزا لمسرح الجزائري ، إنـه مسرح السؤال ، إنه ليس مسرح فرجة رخيصة ، وأضاف : لقد ضحكنا كثيراً وضحك علينا كثيراً نحن نريد للمشاهد ، ان يحمل المسرحية معه بعد أن ينتهي من مشاهدتها ، يحمل مشروعها وأسئلتها .

وحدثـني المـيهوبي : عـن قـيام اتحـاد الكـتاب والأدبـاء الجزائريين بنشر وطباعة أكثر من عشرين عنواناً بين الشعر و القصة والرواية . لقد كان حديثي مع الميهوبي فرصة رائعة للتواصل وتأكيداً على ضرورة تفعيل اللقاءات والحوارات ، عبر كل القنوات المتاحة .. لأنه من غير المقبول أن نمارس المقاطعة ضد بعضنا البعض ، فلم يعد متسع من الوقت لنضيعه .

المشواشى التعيس

لم يكن بوسعي أن أدرك أنك تحمل كل هذا القدر من التصدع ، لم يكن بوسعي أن ألمس هذا لصخب الدامي الزاعق " عاصفة هو دجها الغبش " لم يكن بوسعي ان أشتم كل هذا الاستعار.. كل هذا التشظي " يا سليل آلهة الرماد " .. أين كنت تدس براكينك وآخر مرة شاهدتك فيها كدت استمع لاصطكاك ضلوعك ، وأنت تشهر في ليل " درنة " عينين متوجستين مرتبكتين.. أيها الصموت أين كنت تخبئ كنت كذلك كل هذه الخيول الصاهلة ؟

لم يكن بوسع أحد أن يدّعي تنبوءه بوقوعك بهذا القدر من الفجيعة .. جاءني " شجر الكلام " عبر شاعرين يشبهانك ربما وجعاً وربما فزعاً وربما حلماً .. أيها المشواشي التعيس " طالعني دمك من النزفة الأولى ، طالعني رمادك من الحرقة الأولى ، شاهدت صومعتك المنكفئة على نفسها أو على جرحها ، طالعت أشلاء صلاة مبعثرة في باحة الروح .. لماذا كل هذا الحفاء ؟ لماذا انتعال الشوك والإسفلت المقيت ؟ لماذا كل هذا اللهيب الذي يستبيح عظامك ؟ ولماذا يفح الهسيس من كلامك؟

" عبد السلام العجيلي " في ديوانه " شجر الكلام [1]" يمازج بين

---

(1) " شجر الكلام " الإصدار الشعري الأول للشاعر / عبد السلام العجيلي

الدم وبين الشعر، بين الطين وبين الشعر، يلبس العراء ويخلع الكساء، يتقصى حقيقة النار وحقيقة الجرح يتحرى عن حزن السماء، ينصب شراكه لأوهام رمادية يدسها في جيبه المثقوب، يقود اللغة من قرنيها صوب مجاهيل مشتعلة بأمنيات مصادرة، ينحرها على مذبح طقس الخيبات المتدلية، ويوزّع أشلاءها المعجونة بغباره على شاهد الكلام صائحاً: أي لغة ؟

تليق بصيد .. القصائد

في المآتم السرية

والدمع الموارب

أدعوكم يا أحبة الشعر لمطالعة هذا النزف المعلن فهيئوا عيونكم لمطالعة " صحو" هذا " المشواشي" الملاحق بـ " الغبش" هيئوا قلوبكم لفوضاه ونزقه.

إنه يأتيكم عارياً فامنحوه أغطيتكم، ويأتيكم نازفاً فلا تهدروا دمه، ويأتيكم حافياً فلا تنثروا الشوك في خطاه المنهكة. أفسحوا مساحاتكم لهذا " المعفّر" برائحة الشعر، بغباره، برماده، بشعثه، ببداهته ودخانه السرمدي.

هل لدينا مشروع ثقافي ؟

لكل وطن خياره الثقافي ، وخياره الحضاري، وخياره الفكري، ومن جملة هذه الخيارات يتحقق له حضوره الفاعل علي الساحة الإنسانية ، ويكون له نتاجه الإبداعي المميز .هناك عديد التجارب الناجحة علي هذا الصعيد، التي تمكن أصحابها من طبع بصمات عميقة الأثر في المنتج الثقافي العالمي.ترى هل استطاع "مثقفونا أن ينجزوا الشي نفسه بمعنى هل تآزرت أفكارهم وتعاضدت طروحاتهم، وتمكنوا من تسجيل حضور مهم علي الساحتين المحلية والإقليمية ؟ هل أفلح المثقفون الليبيون في مدّ جسور من التواصل مع الوطن والمواطن؟ هل تمكنوا من جعل حضورهم ونتاجهم جزءاً أصيلا في النسيج الوطني ؟ وما هو حجم الجهود التي بذلت في هذا الَصدد؟ هل ثمة مرجعيات بعينها يؤوب إليها هؤلاء المثقفون يمتحون منها، عن وعي وإدراك؟ كيف نستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة ؟ هل يوجد "جسم "ثقافي ذو ملامح وقسمات نستطيع أن نخضعه للتشريح والتدقيق والتعرف ؟ وأين القامات الفكرية الثقافية، بمعني أين إسهاماتهم وإضافاتهم ؟ أين جهدهم المبذول في رسم هذه الفسيفساء؟

الشيء الظاهر للعيان إن ثمة سربا ينتشر في الفضاء الإبداعي، لكل مساره، ولكل شدوه، ولكل غناؤه ؟ ثمة أطيار تحلق، ممعنة في الذاتية، ورصدها وسرد رحلتها ودقائقها والاشتغال حتى علي همومها المنكفئة علي نفسها ؟ وتداعيتها الموغلة في " ألانا" هناك سؤال آخر :

من هو المثقف المرشح لأداء هذا الدور التاريخي الغائب الآن ؟ الوطن الآن مقدم على مرحلة دقيقة في الحوار مع الآخر، في صياغة مشروعه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. وثمة تجارب إنسانية أمامه؟ أين موقف المثقف من هذه المتغيرات جميعها ؟ إنّ أي توجه اقتصادي أو سياسي، لن يكتب له النجاح ،إن لم يؤازر بمشروع فكري ثقافي حقيقي، ينتمي إلى خصوصيات هذا الوطن إلى ثوابته وجذوره. فى هذا " الصدام " السلمي الجديد، بمعني هذه المواجهة الحضارية مع الآخر مواجهة التفاعل والتواصل، بحاجة ماسة إلى عين المثقف وفكر المثقف وعقل المثقف، ولا ينبغي ولا يليق بالمثقف أن ينهمك في العزلة والاعتزال، بينما الوطن علي محك حضاري، وصياغة جديدة لحضوره الإنساني .الاقتصادي لوحده لن يفلح، ولا السياسي لوحده يفلح. لابد من وجود المثقف الفاعل، لا المثقف الذي يجتر نفسه علي الأسطر في كلام باهت مكرر، يضخم ذاته، ويقحم القارئ في "سيرته" بأدق تفاصيلها حتى التافهة منها. المثقف لابد أن يشرك بقوة في هذه المرحلة، وأن يتقدم الصفوف مرشداً وهادياً، ممحصا وناقداً. لابد أن يقول كلمته بصدق وبعشق لا بغرضية أو مصلحية. لابد أن يقول كلمته في العض بالنواجز على الخيارات الثابتة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وعدم التفريط فيها تحت إي مبرر، لا أن يبقي متفرجاً وفي أحسن الأحوال يفرط في الحديث عن قضايا لا طائل من ورائها يمدّ الشخصي وجهه من خلالها، ويبرز الاستعراض، ويظهر التسفيهي. المثقف لابد أن يكون حاضراً بقوة في المشروع الإعلامي المتخبط، والمشروع الثقافي المتعثر، والمنهج التعليمي المرتبك.

هبّع - يهتــبّع - تهبيعا

حاولت أن أتتبع الجذر اللغوي لهذه الكلمة ، قبل أن أتناول مدلولها في وسطنا الأدبي ، فطالما نسمع فلان هبّع فلانا أو فلانة .

فقمت بزيارة إلى اللغوي الجليل "الظاهر أحمد الزاوي" لأقف على حقيقة " هبّع " إذا كانت لها ثمة حقيقة في معجمنا اللغوي ، وقد بدا لي للوهلة الأولى .. إنّها موغلة في العامية ، لدرجة أن ملامحها الحقيقية قد ضاعت ، ولا ثمة سبيل إلى تأصيلها أو تأسيسها .

وعلى حرج حملتها إلى العالم الليبي الجليل ، صاحب الجهد الرائع ، في معجمه (ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة) وذهبنا إلى حرف الهاء ، وتتبعته حتى وصلت إليها .. وجدتّها كأنها تنتظرني .. في ركن قصىّ ، نظرت إليَّ .. أمعنت فيها النظر .. نعم إنها بشحمها ولحمها : " هبع".

كمنع ، هبوعاً ، وهبعانا .. مشى ومدّ عنقه ، و الهبوع : مشى الحُمُر خاصة ، أو أن يفاجئك القوم من كل مكان . وكصُرد : الحمار استهبع البعير : حمله على الهبوع) انتهى كلام الزّاوي عن " هبع " .

ويأتي كلامنا نحن .. فنقول إن الصلة عجيبة بين محترفي التهبيع .. في هذا الزمن : والجذر اللغوي للكلمة .

وسبب بحثي وطرقي لهذا الأمر أنها أخذت تتردد كثيراً حين نلتقي أو نتحاور: فلان مسكين " هبعوه " ولا علاقة له بالكتابة .

وينتشر " حال " التهبيع بين الكتابات النسائية - إن صح التعبير.

فالناقد بدل من أن يتغزل مباشرة في صاحبة النص ، فإنه يمارس ذلك على النص : جميل " رائع " مهم .. وأسرد هنا حادثة جرت أمامي في أمسية للشاعرات ، بعد أن انتهت إحداهن من الإلقاء ، أسرع إليها الناقد النحرير. قائلاً لها : جميل .. خاصة نصك الأخير.. فهو مهم جداً وما إن ابتعدت حتى صحت فيه : مهم في عينك .. لقد كنت إلى جواري ، ولم تتابع كلمة مما قالت .. لماذا (هبعتها) لن يستطيع أحد أن يواجهها فقال لي يا سيدي هذه مجاملة .. وهي أنثى رقيقة .. وكثيرة هي حالات " التهبيع " .

ومن خلال هذا التأصيل للمفردة فهي لها علاقة بالاستحمار معاملة " المهبع " على إنه حمار.. والمهبعة على إنها حمارة .. وأكثر حالات التهبيع تُرتكب ضد الإناث .. فيصدقن الأمر ويمضين وهن " مهبعات " بمفردات مجانية ، تمارس من قبل " مهبعين " لا علاقة لهم بالنقد ولا بالكتابة .. ومن العيب أن تقع الأنثى ضحية للتهبيع ، وتمضي متبحترة فرحة ، بالممارسة التهبيعية ..

فلتراجع الكاتبات ويتساءلن عن حقيقة الممارسات " التهبيعية " ويسارعن إلى إعادة النظر في كل ما يكتبن.

مَنْ يحفظ ماء وجه المبدعين ؟

إذا أردنا أن نتحدث عن المثاليات ، فإنّه بإمكاننا أن ندبجّ الصفحات ، ونصوغ قصائد عصماء ، لكنّ الواقع لم يلتفت إلى مفردة واحدة من سيل كلامنا ن ولن ينتبه إلى جملنا الرنّانة. ماذا أريد أن أقول ؟ هل أقطع دابر الكلام ؟

هل أمزّق هذه السطور القليلة ؟ هل أمضي إلى موضوع آخر ؟ كنت أودّ أن أتحدث عن القاص محمد الغيزي عن نصّه القصصي وتجربته واستدعائه للأسطورة وتوظيفه إياها ومدى نجاحه الفني في هذه المعالجة.

المفتتح يلحُّ من جديد ، السؤال الذي نهربُ منه كلما سُئلنا عنه ؟ ماذا عن مكافآت الإنتاج ؟ سؤال مشروع ولائحة عقيمة بائسة لا تستجيب لحاجات الكاتب ، التي تحاصره ، والالتزامات التي تضغط عليه ، ينتظر لأشهر وربما لسنوات دون جدوى يتردد يسأل في حياء وخجل عن مكافآت الإنتاج ، يضطر أحياناً لشرح ظروفه أمام إداري لا علاقة له بموضوعة الإبداع لا من قريب ولا من بعيد.

المبدع ثروة حقيقية لا تنضب ، أغلى من ثروات تنفد وتنضب ، المبدع واجهة الوطن ، حلمه ، طموحه ، صائغ أمانيه ، راصد أفراحه وأتراحه ، المنصت لدقائق قلبه ، المصغي لتفاصيل نبضه ، المبدع هو أحد أهمّ ملامح الهويّة الوطنية ، المبدع هبةٌ من الله ، يجب صونها

ورعايتها، ومنحه المكانة التي يستحق ، لا أن نضطره للسؤال المتكرر ، علينا أن نعامله باستحقاق وجدارة ، وأن نقدّر منتجه الإبداعي بما هو جدير به ، لا أن نبخسه حقه ، الذي إذا ما طالب به ، ينعت بـ "المادي" من أناس لا يعرفون إلا "المادة" ولا يركضون ويلهثون سوى خلفها.

إنّ الوطن العزيز الذي يعيش مواسم النصر ، ويطوي صفحة ليعبر إلى صفحة أخرى عليه أن يلتفت إلى مُبدعيه ، أن يعيد صياغة علائقه ووشائجه معهم ، أن يوفّر لهم شروط الإبداع ومناخ العطاء المتميز ، ويحفظ ماء وجوههم فلا يتحول المبدع إلى " سمسار" في سوق السيارات ، أو يتحول إلى مهزوم أبدي أمام أبنائه وهو يعجز عن توفير حاجاتهم.

المبدع جندي حقيقي ، وحارس أمين ، ومنشد أصيل .. فلا تضيعوه ولا تستبيحوه لا يُعقل أن يستجدي كاتب من أجل تسوية مكافآته ، ولن نتحدث عن مثاليات .. إننا بصدد واقع يلحُّ بضرورة .. أن نكون أصدقاء للمبدع ، أصدقاء حقيقيين حتى نكون أصدقاء للمستقبل ولكل الأشياء الجميلة.

وداعا / خليفة الفاخري

هذا مساء بنغازي حزين .. حزين إلى حد النزف الذي كنت تعايشه صلاة لم تنقطع على صعيد الكلم الطاهر.. ربما آن للنهر أن يستريح .. وربما آن للنوارس أن تكف عن الزعيق المرير.

يا خليفة لم يكن بإمكاننا أن نفعل شيئا ونحن ندرك أن الصلادة والصلابة التي تشهرها في وجوه أصدقائك .. تخفي قدراً من الألم العظيم تحسه لوحدك ولم تشأ أن تزعج أولئك الذين يطلبون الحكمة بين يديك ..

يطلبون الفرح المجلجل بجلجلة ضحكتك .. أيها الفقير الجليل لم ينل منك العوز شيئا .. ولم ينجر القلم خلف سطوة الفاقة..

أيها البنغازي الطيب هاهي مدينة بأسرها تبكيك .. تطلق نوارسها خلفك .. تطلق دعواتها .. آهٍ أيها الطيب انتبهنا إليك دفعة واحدة .. لكن بعد فوات الأوان .

أينبغي على المبدع أن يموت أو يشارف على الموت حتى ننتبه إليه .. حتى نحوطه ؟ .. كنا نعلم أنك تعاني وكنا نردد فخورين بأنك رجل " عصامي " لكن هذا القلب لم يعد بإمكانه أن يحتمل أكثر.. لقد آثر الصمت .. أو ربما آثر الكلام ..غصباً عن مخالب هذه الآلة الضخمة التي تفجر صخبها المقيت على ضفاف قبرك لكنني رغم كل هذا

الضجيج .. سمعت ضحكتك.. وشاهدت قامتك .. إنها على طقسها تماما لم تنحن .. شغوفة بمشاكسة السحاب ..

ودعت بنغازي بل ودعت ليبيا .. مساء الخميس السابع من شهر يونيو 2001 إفرنجي فارساً فريداً من فرسان الكلمة ، ورجلاً من رجالات الأدب والثقافة .. بعد مرض داهمه وهو يمارس طقس الفرح..ولم يمهله طويلا .. سيراً على الأحزان ودّع الأدباء والكتّاب والمثقفون والمحبون للأدب والثقافة فقيد القصة الليبية " خليفة الفاخري" الذي لم يتجاوز عقده السادس لكنها الحكمة التي نجهلها ونشهرها في وجوه بعضنا ربما تأسياً وربما تهكماً وربما فرارا ..

كان من المفترض حسب أحلامنا وحسب آمالنا التي نعقدها مع الغيب بمنأى عن سطوة القدر..أن تكرّم في 19و20 من شهر الصيف 2001 ف من قِبل رابطة الأدباء والكتّاب ..وفرحت كثيرا بذالك التكريم وسعد رفاقك وأبناؤك ومحبوك واقترب الموعد .. لكنّ موعداً آخر كان في أجندة نجهلها ..تهمنا ..تخصنا..نجهلها لها علاقة بوجودنا بحياتنا ونجهلها. غادرت قبل أن نكرمك ..حاولنا أن نصالحك .. التفتنا إليك دفعة واحدة.. فجعناك بانتباهنا فرحلت .

تحية إلى الكلمة الليبيّة

ما أجمل الكلمة التي تأتي معجونة بعرق القلب ، معطرة بعطر الروح ، دافقة بحنين المشاعر والأحاسيس ، ما أجمل الكلمة المغناة حين تمضي مباشرة إلى حبة القلب ، تعانق حلما غافيا ، تداعب أمنية أسندت خدها على حافة الغيم ، تنتظر الغيث القادم. ما أجمل الكلمة حين تلمس فيها وجه صاحبها ، تلمس فيها تفاصيله وملامحه ، تلمس فيها فصيلة دمه ، تتحسس فيها شفافيته ، وتطلعك على فرادته وفراسته ، ما أجمل الكلمة حين تسكرك ، تحملك بساطاً سحرياً ، تهيىء لك غمامة بيضاء ، تجوب بك الكون ، تدخلك إلى مدائن الدهشة والفجاءة ، تطلعك على تنفس الصبح ، وعسعسة الليل ، وما يطويه الجبل ، وما يحويه الصخر ، وما يخفيه النهر ، وما لا يبديه الزهر ، وما لا يظهره القمر ، ما أجمل الكلمة حين تخرج من هنا من عمق القلب وتستقر هنا في حبة القلب ، لا تتقرّب زُلفى ، ولا تتراجع خوفاً ، ولا تنطق زيفا ، ولا تحضن حرفا رجفاً ، ما أجمل الكلمة حين تكون بحجم الكون بحجم الأشياء الحلوة ، بحجم البحر الرائق ، بحجم النهر الدافق ، الكلمة فصيلة دم القلب ، فإما تعلن عن قلب عاشق وعن قلب صادق ، وإما تعلن عن قلب هربت منه نوابضه ، حين انحرف عن ثوابته ، حين أطفا قنديله ، واتخذ الدجل سبيلا.

مـا أجمـل الكـلمة الـتي تتـبع طفـلا يحمـل حجـرا ، مـا أجمـل الكلمة التـي غنـت بعـروبة فلسطين ، مـا أجمل الكلمة التـي شاهدتها بأمّ عينـي تقـاتل في شوارع غزة .. ما أجمل الكلمة التـي تغنت بـالقدس الشريـف ، وبالشـهيد في بطـن أمـه ، وبمسري الرسول ، ما أجمل الكلمة التـي شـاهدتها في غـزة ، وفي رام اللّه ، وفي جنين تحمل عبق الصحـراء ، تحمـل عـبق ليبـيا ، تحمـل عـبق الفـن الحقـيقي ، شـاهدتها واللّه شـاهدتها تقـاتل ، شـاهدتها تنـاضـل ، شـاهدتها تسـعف الجـرحى ، شـاهدتها تمسح دمـوع الـثكالي ، وتـنـام في حضـن اليـتامى ، مـا أجمـل الكـلمة الـتي شـاهدتها تزمجـر حـين سـكت الجمـيع ، وجدتهـا تـرتل القـرآن وحدهـا عـلى الشـهيد ، وجدتهـا تـزفه إلى اللّه ، وجدتهـا تهـرب رغيـف الخبز تحت أجنحـتها إلى أطفـال المخيمات ، وجدتهـا تهـرب الأنهار إلى الحنطة ، تهرب جداول الماء في مآقيها إلى القلوب الظمأى مـا اطهـر الكلمة التـي تحفظ أسمـاء الشـهداء وتحـفظ مدائنهم ، وتحـفظ ملامحهـم... مـا أجمـل الكـلمة الـتي تقـول نفسـها هكـذا ، دونمـا اعوجـاج، ودونما تزييف.

تحـية إلى الكـلمة الـتي شـاهدتها بـأم عيـني تضـمد جـراح الفلسطينيين وهي تقول :

فلسطين عربية عربية.

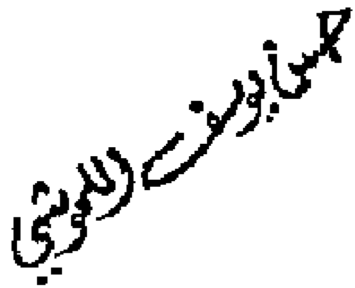
الجهـــل نـــور

الجهل نور.. أه ، ما أجمل الجهل ، شيء ممتع أن تصيبك حالة الجهل. إنه صديق رائع ، ها هو يعلن انتصاره أخيراً. ونحن نشاهد البشرية الحمقاء تائهة في أودية الجبال وفلول الصحارى ، تطارد الوهم، مجسدة كل ما أوتيت من علم وتقنية. إن الجهل يخرج لسانه للعلم ، ويعلن تشفيه فيه ، وهو يرى القنابل الذكية تحصد رؤوس أصدقائها و أبنائها. يرى ماذا أقدّم العلم للبشرية ، قدّم لها القنابل النووية والجرثومية والانشطارية ، أهداها فيروس الإيدز الذي حصد ويحصد الملايين من البشر ، قدّم لها السرطان وأخذ يتفرج عليها وهو يفتك بها ، قدّم لها الزيف والغش. ويضحك الجهل حتى يقع على ظهره ، وهو يرى البشرية في ألفيتها الثالثة ، تجرّ أذيالها في الصحارى ، وتدك رؤوسها في الكهوف ، ويشمئز الجهل من البشرية الواعية المتعلمة وهي تشاهد دون حراك ، رؤوس أطفال فلسطين تتطاير ، وأجسادهم تتمزق.

ماذا أعطانا العلم ؟ علمنا أن الصهاينة كيان سرطاني دخيل ، حفظنا ذلك عن ظهر قلب ، ثم اكتشفنا أن أعلام الصهاينة ترفرف في سماوات العرب وأنهم أصدقاء ، علّمنا أن العرب فرسان ولا يرضون بالضيم ويأبون الذل ، ثم اكتشفنا أنهم عاجزون ليس عن إغاثة الملهوف فقط ، بل حتى عن إغاثة أنفسهم..

أخبرونا وعلمونا أن فلسطين عربية ثم استدركوا ، لا ليس كلها إنما نصفها أو اقل أو أكثر بقليل ، علمونا أن الشهيد مآله الجنة ، ثم استنكروا عمل الشهداء .. علّمونا الكثير والكثير .. ثم اكتشفنا إنّه وهم.

لكن السيد المحترم الجهل لم يجرؤ ولم يتورط في إبلاغنا بشيء ، ظل صامتاً يتفرج لم يقل لنا شيئاً وظل العلم يصول ويجول ويتباهى حتى أخذته العزة بالإثم فأخذ يعبث بالخلقة البشرية ، أخذ يعبث بالكرة الأرضية ويحشرها بآلاف القنابل ومازال الحبل على الجرار.. فغدراً عن كل الشتائم التي لحقت بالجهل العظيم .



تحية إلى " هنيّـة "

السيدة التي أكتب عنها الآن ، شاعرة رقيقة ، عاشقة للشعر والشعراء ، وذاكرة بديعة ، تقول نفسها عبر قصائد جميلة ، جلُّها في حب بنغازي ، حيث تقودك مباشرة إلى " الزنقة " بكل تفاصيلها ، وتجلياتها ، إلى الأمكنة الضاجة بالعتاقة ، علمتني ذات يوم حرفاً ، فكان ذلك لي شرفاً.

السيدة التي أكتب عنها الآن ، تقوم بإحياء لرسالة الجامعة النبيلة ، في الاتساق والالتصاق بالمنجز الإبداعي ، والمنتج الفكري ، من خلال الاحتفاء بهما ، وإخضاعهما للدرس والتحليل والنقد الأكاديمي ، المرتكز على أسس علمية تفيد من كل التجارب والمعالجات المتاحة ، على الصعيدين : التنظيري والتطبيقي. السيدة التي أكتب عنها الآن ، هي نموذج رائع للمرأة الليبية ، نموذج جدير بالإبراز، وجدير أيضاً بالإشادة ، إنها تقوم بالتدريس بقسم اللغة العربية بجامعة قاريونس منذ عقود. كان يمكن أن يقتصر دورها على الأداء الأكاديمي ، وتنعزل عن المشهد الثقافي والإبداعي ، كحال بعض الأكاديميين ، الذين ارتضوا بالتكلس ، ديدناً.

السيدة التي أكتب عنها الآن : هي د. : هنية الكاديكي الشاعرة الرقيقة الوفية لقصيد العمود ، المتيمة بـ " الزنقة " كحالة

اجتماعية تتجلى فيها حقب تاريخية عميقة .. التقيتها في حفل استقبال أحد أقطاب المستعربين الإيطاليين خلال زيارته لكلية الآداب والتربية ، اطعلتني على نشاط ثقافي مميز ، تشرف عليه هي شخصياً وينهض به قسم اللغة العربية ، يتضمن أصبوحات شعرية للشعراء : د. أحمد عمران ، د. شعبان عوض ، د. فيصل الحداد الأستاذ / محمد الزروق. كذلك كانت هناك محاضرة للباحث المثابر ، صاحب المشاركات المهمة في المشهد الإبداعي الليبي. د. عمر خليفة ، حيث قدّم محاضرة بعنوان : سيمياء الأشياء في قصة : عبر كل الأبعاد. للقاص : خليفة الفاخري .. برنامج ثقافي مكثف يضيق المجال عن ذكره ، يأتلق به قسم اللغة العربية ويرسّخ لدور أصيل للمؤسسات الأكاديمية ، يبرئها من الجمود والعاجية.

ولاشك أن الشاعرة د. هنية الكاديكي تقوم بدور هائل في تفعيل هذا الدور ، من خلال انحيازها للإبداع ، وحرصها على خلق " ديناميكية " داخل أسوار الجامعة وإقامة حلقات نقاش وورش عمل ، قادرة على تقييم وتقويم المنجز الإبداعي الليبي .

الكلمــة .. الــوطــن

الكلمة الحقيقية هي الكلمة التي يحبها الناس وهي التي تلامس شغافهم وتستقر في أعماقهم.

الكلمة الحقيقة ترسم الخلود لنفسها ، وتمتلك القدرة على البقاء في زوايا حصينة لا يدركها الذبول ولا يدركها الفناء.

قد تتشابه كلمات مع الكلمة الحقيقية ، قد تتشابه إلى حدّ كبير.

لكنها سرعان ما تأفل ، وسرعان ما تذبل وسرعان ما تذهب أدراج الرياح .. لا يذكرها أحد على الرغم من بريقها لمعانها ومقدرتها على المراوغة ، لكنها تظل " فالسو" بدون قيمة .

الكلمة الحقيقية هي التي يراهن عليها ، وهي التي لا تخذل أمتها ولا شعبها ، لا في سلم ولا في حرب.

الكلمة الحقيقية نور حقيقي ، لا تطفئه الأفواه الغبية. إنها جزء أصيل من نسيج الوطن ، لا تغادره أبداً ، تقاتل معه وتلاحق معه، وتصادر معه. وتُسجن معه وتكبّل معه ، وتجوّع معه ، وتعذّب معه ، وتنفي معه.

لكنها لا تخذله أبداً ، ولا تكذبه أبداً ، تقول له كما يحب أن

يقال ، وتنشده كما يحب أن ينشد .

الكلمة .. الوطن هي السنديانة العملاقة الباسقة الشامخة.

هي التي تحفظ لصحابها رواءه وموقعه بين النجوم ، هي التي لا تتردد في أخذ صاحبها من يده وتقوده مباشرة حيث يجلس كل الأحبة الذين صدقوا الوطن عهده ووعده ..

الكلمة الحقيقية والوطن عاشقان أبديان ، هكذا تقول كل الأسفار المعجونة بالحب وبالدم ، والمعطرة بماء القلوب وعبق الأرواح .

فاحرصوا أن تكون كلماتكم حقيقية .. حتى تكون كلماتكم وطناً.

"الخميس الجميل" يصادر الرحيل

تعود بي الذاكرة ، إلى عقد الثمانينيات ، أتذكر تلك الندوات الثقافية ، التي كانت تعقدها مجلة الثقافة العربية في مقرها ، بحرص شديد من رئيس تحريها آنذاك الأستاذ / محمد حسن البرغثي.

في ذلك الزمن الجميل كنا ننتظر بفارغ الصبر ، قدوم هذه الندوة ، الحبات الجديدة ، التي التأمت بعقد الثقافة (سكينة – ليلى – تهاني – زينب – إلهام – فاطمة) متشحين بشوق التلاميذ ، وبلهف العشاق ، وبمحبة المريدين .

تحفر في ذاكرتي ، طارحة طلعها في فضاء القلب ، تلك الأصبوحات ، فأتذكر محاضرة د. على فهمي خشيم عن التكوين السلالي والحضاري للوطن العربي ، وأتذكر الأصبوحتين الشعريتن للشاعرين الكبيرين حسن السوسي ومحمد الشلطامي .

أتذكر إدريس الحرير وعبد المولى الحرير ، وعمر خليفة بن إدريس ونديم البيطار ، وسالم الكبتي ، حسن بن عامر. فتسطع أمامي شمس " الخميس الثالث عشر من شهر التمور – أكتوبر 1988 ف .. ويبرز هو بقامته وحضوره المتميز .. فنكون جميعاً في استقباله ، ثم نأخذ أماكننا لننصت إلى ذلك العالم الباحث الجليل ، د. على الساحلي وتكون المحاضرة بين التراث الفصيح والتراث الشعبي.

وبذائقة مذهلة ومهارة لغوية فائقة ، وحسن بلاغي أصيل ،

يطوف الساحلي بنا ، بين نماذج من القصائد الفصيحة في عصور أدبية مختلفة (الجاهلي – الأموي – العباسي) ونماذج أخرى من التراث الشعبي الليبي (حسن الفاخري – حسن الأقطع) وبمهارة الغواص المدرك لخفايا الأعماق نلتقط مع الباحث الليبي ذلك التواصل ، والتمازج بين النموذجين الفصيح ، والشعبي .

أذكر ذلك " الخميس " وأذكر مشواراً مخضوضراً بالعطاء عبر مسيرة عامرة زاخرة أوقف فيها هذا الباحث النحرير ، عمره وجهده لغاية استنطاق الذاكرة الشعبية وإعادة إنتاجها وبلورتها ، وجعلها نسيجاً متماهياً في نسيج أكبر ، فكان العمل الدؤوب من أجل التوثيق والرصد ، ومد جسور متينة مع النتاج الشعبي في أبهى صوره وتكون الانطلاقة – كما يذكر لي الصديق الباحث سالم الكبتي ، أحد أعضاء لجنة جمع التراث الشعبي إلى جانب د. يونس فنوش أن د. على الساحلي رئيس اللجنة ، استلم غرفة جرداء حتى من البساط ، لكن الرغبة الأكيدة ، والعزيمة الصادقة ، تجاوزت هذه الوضعية وأثمر ، العرق النبيل طلعه الأولى: المجلد الأول في الأدب الشعبي ، مسجلاً جهداً علمياً رائعاً يجسد نزاهة العطاء وصدق المطلب ، دون غاية أو مأرب كانت تلك اللجنة تعمل بشكل تطوعي ، بل تنفق من لدنها. ساعية نحو مقصدها متمثلة روح ذلك العالم النشيط المحب الوفي د. على سليمان الساحلي. تلك إضاءة في مشوار زاخر بالإضاءات ، أردت أن أطوق بها روح هذا العالم الذي شرفت بجلسات ممتعة معه، في مجلة " الثقافة العربية " ووقفت على ترجماته الرفيعة عن الإيطالية والإنجليزية ، لك كل الأشياء الجميلة في عالم أجمل ، أيها المبدع ، العالم والعلامة.

كل لحظة وأنتِ لنا

نغمس مدادنا في عسل الحب ونكتب عنك .. نمضي مترجلين إلى بيتك بباقة ورد وباقة ودّ.

نقول لك كل لحظة وأنت ثورة .. كل لحظة وأنتِ شمس وفجر.. كل لحظة وأنتِ لنا .. تبسطين الكلام لنا وتفسحين مكاناً في رواقك لأحلامنا لأشعارنا لفوضانا ولنزقنا ولشغبنا ..

وتهيئين وسادة لتعبنا ومنديلاً مخملياً لدمعنا .. وموسماً لوحده لتفاصيل عشق يمد سنابله بأيد بيضاء طرية .. لأطفال .. أو لملائكة مجانين .. أودعونا بذور حنطتهم وأطلقوا أرجلهم للريح ..

كل لحظة وأنتِ لنا .. هكذا جميلة .. وهكذا ساحرة .. وهكذا كما نريد أن نراك .. بمتسع الأمنيات التي لم نشأ لها أن تنبت إلا بين يديك.. لم نشأ لها إلا أن تتعطر بياسمينك ورياحينك ..

لم نعرضها في سوق النخاسة ولم نستبدلها بأخرى .. نغمس مدادنا في عسل الحب ونكتب عنك .. لأنك هكذا وارفة ظليلة ..

لن نفرط في نأمة حلم من أحلامنا المفرطة في الحكمة .. أو من أحلام الملائكة المجانين .. الذين يحاصروننا بهوسهم الجميل ..

نغمس مدادنا في جرابك .. ونشرب ماء عشقك على الريق..

نـأتـي مترجلين إلى بيتك .. نـأتـي محملين بسلال الورد .. نهرع إلى صدرك نقـول كلامـاً لم نقله لغيرك .. تلضمين كلماتنا كلمة كلمة .. وعلى جدارك تعلقين عقود الكلام الذي لا يشبه إلا نفسه ..

كلامـاً نقوله كمـا ينبغي أن يقـال .. وكمـا علمتنا سديد القول .. يزهر الكلمة على جدارك .. يزهر حتى منبع النبض.

هل تلُبنن الأغنية الليبّية ؟

الأغنــية بشــكل عــام مــلمح أصــيل مــن ملامــح أي وطــن مــن الأوطان..وهي أعرق أنواع الفنون التي عرفها الإنسان منذ عصور سحيقة.

الأغنية مقطع حيوي في نسيج البلد ، وعمد من أعمدة هويته..

هي لسان حلمه ، ومنطق أمانيه وأغنياته ، هي تسابيحه ، وأهازيجه ، هي ملامحه ، هي بطولاته وانتكاساته ، هي انتصاراته وجراحاته ، فصيلتها من فصيلته ، وبصمتها ، من بصمته .. هي روح البلد ، هي بوح مكبوته ، وبيان مكنونه ، هي سلاحه الفعال الذي لا يبلى ولا يصدأ ، هي حقله الدائم والوفرة والعطاء ، هي حصنه الذي يتحصن به حين تشتد الأزمات ، وهى حضنه الذي يلجأ إليه ، يبثه فرحه ، حزنه ، وجعه .

يعذب الحديث عن " الأغنية " رفيقة الخلوة ، رفيقه البحبوحة والكّد والتّعب ، رفيقة ارتباكاتنا الأولى ، ونحن نخطو متعثرين نحو عيون الحبيبة ؟

أعبر من هذه البسطة نحو الأغنية الليبية التي استطاعت أن تفرض نفسها على الساحة وخلال الكلمة الجميلة المعجونة بطمي هذه الأرض ، المضمخة بعبقها وعبيرها ، من خلال اللحن الجميل ، والجمل الموسيقية الليبية المتميزة التي شنفت أذان المستمع العربي

فصفق لها من الأعماق. كذلك الأداء الليبي الرائع ، الذي يطرب ، ويلامس الوجدان ، وشغاف الرّوح.

خلال هذا الأسبوع اطلعت على أغنية ليبية [كلمات . لحناً . أداءً] في إحدى الفضائيات : الكلمات للشاعر عبد الله منصور ، الذي احترمه ، وأعتز بأعماله الفريدة ، التي تشكل " درة " في جبين المشهد الغنائي العربي ، وقد عبرت عن ذلك ، في مناسبات عدة .

الألحان للملحن المتميز ناصف محمود ، وللأداء للمطربة الشابة رويدا عمر ، وهى ذات صوت شجيّ. الأغنية جميلة كـ"خلطة " ليبية ساحرة ، أما المظهر الذي ظهرت به ، حين " تكليبت " فهو عبارة عن مسخ، وتهريج ، وكلام فارغ ، دغدغة للغرائز وهو حال معظم الأغاني "المكليبة.

على الطريقة اللبنانية الجديدة القديمة ، التي تسلّع المرأة وتحيلها إلى مجرد جارية عارية تتلوّى ، أنا ضد " لبننة " الأغنية الليبية ، وأربو بها عن هذا المسخ ، ولا يوجد مبرر لذلك " الأغنية الليبية " يجب أن تصوّر بشكل يكفل لها بهاءها وأصالتها ، ولا يحليها إلى مشاهد.

" كبريهاتية " تسيء إلى الكلمة واللحن والأداء .. إنّنا في حّل من هذه الشهرة المصطنعة التي لابُدَّ أن تعبر من خلالها الأغنية حتى تروّج. صناعة نجوم مزيفيه سرعان ما يتحولون إلى بلهاء يعلنون عن "مشاريب" ، ويسوقهم صاحب المال ، كما يسوّق أية سلعة.

إنّ هذه " الكليبات " معاول هدم وإفساد متعمّد للذوق للعربي، ونحن ندعو إلى أصيل هل نسينا هذا في زحمة " البيبسى " والكاكاكولا" أم أن ما أقوله كلام قديم باهت ؟ ربما.

نهـــــاونــــــد

اسـم جمـيل .. هـذه الـنون وتـرددها .. وهـذا المـدّ ووجـود الـواو والخـروج بـالدال .. اسـم جمـيل ، ولـه علاقـة بـالفن وبالموسـيقى ولـه علاقة بالتاريخ.

المخرج المتميز محمد الهمالي رزقه اللّه بمولودة ، فاختار لها من الأسماء "نهاوند" لدلائل هذا الاسم في ذاكراته ، ولمحبته الشخصية لواقعه. توجه إلى السجل المدني ، راغباً في التسجيل فقوبل طلبه بالرفض ، لست أدري تحت أي لائحة أو تشريع. المهم قالوا له إنّه اسم فارسي وما هو الضيرّ؟! " ثقافة الفرس وثقافتنا ، توحدنا وامتزجتا .. وقدم الفرس خدمات جليلة للغة وللدين ، وللعلم ، بل أعظم الخدمات وأجلهّا قدّم عن طريق هؤلاء الفرس المسلمين. ولا أريد أن أعدد اسماءهم وخدماتهم .سلام اللّه عليك يا"سيبويه" يا رائحة التفاح" ، يا صاحب الكتاب الأعظم في النحو. تُرى لو أردت أن أسمي ابني "سيبويه" هل سيقولون لي أنه فارسي .!ما قدمه هذا الفارسي للغة لم يقدمه كثيرون من العرب .

وتخيلوا معي لو الفرس أخذوا الموقف نفسه منّا ، ولم يسمّوا بأسمائنا ، ولم يشرعوا ثقافتهم لثقافتنا ، ولم يكسوا لغتهم بأحرفنا وهجائيتنا ، ماذا سيكون مصير الثقافة الإسلاميّة؟.

الفرس لم تكن لديهم عقدة النقص هذه ، ولماذا نذهب بعيداً. ولا ننظر إلى القرآن الكريم ، هذه الرسالة السماوية الخاتمة ، التي أجملت كلّ الأديان ، كل القيم والمثل الواردة في الرسالات كافة. واستوعبت كّل الثقافات ، فلم يتردد في استعمال عشرات المفردات الأعجمية. لأنه دين للناس كافة ، ولأن لديه خطاباً وثقافة ، وليس لديه عصبية ولا نعرة..

هو نزل بلسان عربي مبين ، لكنه تعايش ووظّف المفردات ذات العلاقة "بمشروعهً" ورسالته السامية .فحين أراد مثلاً أن يصف الجنة ونعيمها لم يتوان عن استعمال مفردات فارسية ، استطاعت توصيل الصورة والمشهد .

هذه الثقافة العربية ، ليست ثقافة مغلقة ، هي التي أشرعت أبوابها للجميع واستوعبت إبداعات الجميع ، فأثريت بأعمالهم ونتاجاتهم وراكموا أعمالاً كثيرة.

هذا ذكاء من الثقافة العربية التي وسع صدرها ولم يضق ، بل هيأت للجميع المجال لكي يبدع ، ولكي يسهم في إثراء هذه المشهدية الثقافية. فاتركوا الرجل يسمى "نهاوند" ولا تتشنجوا ، باسم العربية وثقافتها ، فهي براء من كُلِّ هذا التزمّت .

لا تفرط في وجعك

إلى محمد السنوسي الغزالي[1]

لا تفرط في وجعك يا صديقي
المتعب
لا تطلع اللصوص على نزفك
أولئك الذين تسربوا مثل
الخطيئة في دروبنا المنزوية
أولئك الذين شخصوا في
وجوهنا مثل كابوس
لا تخبرهم كم هو جائر جرحك
وكم هو غائر حزنك
يا محمد .. خذ ياسمين
كل هذا التعب وانثره
على قلوبنا

---

(1) هو الكاتب المسرحي، والإذاعي المعروف.

خذ نهر فجيعتك وادفقة

في مسارب أرواحنا

لا تخبرهم أولئك الذين

تسربوا مثل مواسم

الجفاف

في حقولنا مثل الجراد

خذ وجه يوسف

رصِّع به أيامك

أيامنا

يا صديقي لا تفرط في وجعك

ولا تطلع اللصوص على كنز ألمك

يا صديقي ثمة زهر ينبت في صخر الصدمة

ثمة قمر يبزغ من حجر العتمة

لا يزعجنك أيها لعاشق القديم

هذه الرياح الخريفية

ولا تغضب من تلك البطات

الرابضة التي لا تفقس

إلا خيباتها

لا تفرط في وجعك

واعتصم بحلمك العتيق

أيها الصديق

سيعود الوطن .. هيئ

بيدرك لموسم الربيع

وانتظر بلابلاً مازالت

تحفظ أغانينا القديمة

انتظر أياماً تشبهنا

نحن الذين تقاسمنا

ذات يوم عشقها

تلك التي تستحلفك

الآن ألا تفرط في

وجعك

مالذى جرى يا بحر؟!! [1]

مالذى جرى يا بحر؟!!

ما الذى جرى يا صديقي القديم ؟

أيها الجميل الذي يتيح لنا أن تكون كما نحب ، وأن نعبث كما نحب .. وأن ننشيء كما نشاء على صفحات الماء

مالذى جرى ؟

يا رفيق همومنا وأحلامنا وتباريحنا المهربة يا بحر..

أيها الأمين على جلساتنا التي نسرقها من أعين العسس. أيها الأمين على قبلاتنا المهربة من تعاويذ القديسين الذين تحلو لهم مباغتتنا.. ونعتنا بالشياطين .. يا بحر نحبك .. وبيننا حكايا .. وبيننا كلام .

لوّنا بمائك أغانينا .. لوّنا بزرقتك لوحاتنا .. وفزعنا إليك.. ارتمينا بين أحضانك ..

أسلمنا إليك أرواحنا المنهكة .. وأجسادنا المتعبة .. نتلذذ باحتوائك لنا .. نتلذذ بمذاق الماء .... ترشفه أجسادنا قطرة قطرة.

مالذى جرى يا بحر؟:

---

(1) تعليقاً لى زلزال " تنسونامي ".

يا صديق الكتّاب والأدباء والفنانين ..

يا صديق الحكماء والمجانين .. يا صديق الأنبياء الذين مروا على مائك .

يا بحر.. ماالذى جرى ؟

وما الذي أغضبك إلى هذا الحّد .. هؤلاء أحبتك .. هؤلاء مريدوك .. ايتنوا سكناً من بين يديك ..

بل ولدوا بين يديك وأحبوا بين يديك .. تسمّوا باسمك .. وتحابوا باسمك .. وكنت شاهداً على أحزانهم وعلى أفراحهم .. كم من أشعار خالدة نظموها عشقاً لك .. شوقاً بك. كم من مسامرات كنت أنت بطلها ، وكم من أساطير كنت أنت نجمها..

أهدوا إليك أجمل الحسان ، ولم يترددوا في البوح لك بأسرارهم القصية يا بحر.. ما الذى جرى ؟

ما الذي جعلك تسكت الأنفاس النابضة بحبك.

ما الذي دفعك لإخماد جذوة الحياة في قلوب هؤلاء الصغار الذين سكنوا إليك ، وابتنوا [قصورهم] الباذخة على رمالك ..

آه يا بحر يا صخب الحياة يا متحف البهجة .. يا جراب الأسرار الأسطوري .. آه يا بحر حبيبنا أنت .. ليس بوسعنا ألا أن نحبك نحن الذين قدر لنا أن نحاذيك وأن نواشجك ونماهيك ..ونظل نحبك يا بحر..

" نــــزوع "

أنـزع إلى هـذه " الخـلجة " كل أسبوع ، تماماً كما ينزع طائر إلى سربه ، تماماً كمـا يتـوق نـبض إلى قلبه .. أنزع إلى هذه الخلجة .. هذه الكوّة مـن الـنور الـتي أتـنفس مـن خلالهـا هـواء الكـلمة ، عبر متسـع لا يضيق ، بالأناشيد البعيدة .

أنـزع إلى هـذه الخـلجة ، منـتزعاً نفسي من جلبة اليومي ، ومن ربقـة التفاصيل الـتي تلتف حول خطانا ، مثل شبكة شديدة التعقيد. أهرب من طاحونـة مجنونة لاتـنفك تـدور ، قمحهـا نبضـنـا ، وسـنـابلـنـا المـروية بدمـنـا ، يـا اللّه كـم نشـقى حـتى يكـون خـبزنا طيـباً،يا اللّه كـم نحـرص أن نـتطهر في نهـرك ، وان نـبدو كمـا تحـب. أنـزع إلى هـذه الخـلجة كمـا يـنزع حبيـب إلى محـب. أنفلـت مـن صـخب الوقـت الرتيـب، مـن ضجيـج الوجوه الـتي لاتفتأ تطاردني ، من مزاحمة الذين يكسرون مزلاج خلوتي ، مبعثرين فوضاهم في بياض سكوني. أنزع إلى هذه الخـلجة ، أحـب أن تستريح كلماتـي بين يديهـا ، أن أقـول نفسي دونمـا مواربـة لديهـا. هـذه الخـلجة مسـاحة أحـبها ، مسـاحة تتسـع لعشـقي وفـرحي ، ولهـوي ، وعيشي ، تتسع لحكمتـي ، وتتسع لنزقي. عبر سـنـوات ، ظلـت شـاهد عـيان ، عـلى انـتظارات وانكسـارات ، عـلى صـبوات ، وهفـوات ، وكـبوات ، عـلى خطـوات صـادفت ، وصـوبت ، وخطوات تـاهت وتنكبت.

هذه الخلجة هي سطور عميقة في صفحات العمر، هي سطور بلون الفرح ولون البهجة، وبجلال الحزن، وبصفاء الجرح.

هي سطور عميقة، هيئ لي أن أخطها هنا في هذا المحتضن الثقافي، الذي استطاع أن يسجل حضوره المتميز، على خارطة المشهد الثقافي الليبي، محافظاً على استمراريته، مجسداً لوحة إبداعية رائعة، تتشكل في كل أسبوع حاملة الفجاءة، والدهشة، واتقاد الفكرة، واندلاع حقل من البوح البهيج، يشيع في كل مطلع أسبوع بهاءه، وعبيره، وطلعه الفريد. حيث يمارس عشاق الكلمة طقسهم في هذا " المجال"، فينهض وقت من التجليات، ينهض موسم بأسره من البنفسج والألق.

أنزع إلى هذه الخلجة " أتوق إليها " أجلس بيني وبينها، أخلع سترة الصخب، وأرتدي عباءة السكينة، وأعتصم بهذه الزاوية، كما يفعل الدرويش، وكما يطيب للمريد. هكذا كما يفعل العاشقون، أهيىء قلبي للّقيا، للمدى الأوسع، للفضاء البعيد، لأسراب تنتظرني، لمواعيد قادمة، تذكرني إذا ما ذكر المحبون.

أيتها (الخلجة) عم قد كوّة النور.. نسجت كلماتي .. على قدر ما تمكّنت أزدت أن أدثرك بالصّدق .. بالحق .. بوشاح العشق.

ابني يعلمني !!

هذا الذي أجلس إلى جواره الآن ، منتبهاً لتعليماته ، ولحركاته ، ولسكناته ، مثل تلميذ متطلع لاكتشاف المجهول .

هذا الذي ينقر بأصابعه على تلك اللوحه السوداء الصماء ، فسرعان ما تستجيب لنقراته ، وسرعان ما تلبي رغباته ، فينفسح عالم باتساع الكون.

سيل دافق من المعلومات ومن المعارف ، اندفاعه رهن ببنان هذا الذي أجلس إلى جواره .

شريط بعيد من الذكريات يترى أمامي الآن ..عمره خمسة عشر عاماً [1] ، حين كنت أنقّط الحروف الأولى على لسانه ، وأنتظر بشغف مناغاته لها ، حين كنت أرسم طريقاً بيضاء مسافتها من القلب إلى القلب كي تمضي خطواته الخضراء ، محاطة بشغاف الروح .

حينها كنت أفسح له كوة من نور ، كي تنفذ من خلالها عيناه، إلى عالم مبهج ..

وحينما كبر كبرت أسئلته ، وصرت أهرب منها ، وحين يلح عليّ كنت أنهره ، لسبب بسيط أنني لا أملك جواباً ، ففضلت أن

---

(1) (نورالدين) من مواليد 1988 م ، يدرس الطبّ.

أغضبه ، أفضل من أن أضلله !!

هذا الجهاز العجيب ، قلب الموازين ، وزعزع هيبة "السيطرات العتيقة" ، وجلعني أجلس الآن إلى جوار "نور الدين "الذي منحته بالأمس كوة من نور ، واليوم يفسح لي سماء دونما حدود ، أجلس إلى جوار "ابني "الآن ، مثل طفل شغوف بلعبة ، لم يكتشف بعد أسرارها

قبل خمسة عشر عاماً كان يجلس على "حجري" أهدهده ، ألامس فيه مولد الحلم في أشهى حالاته،أرسل روحي بعيداً في أعماقه كي تستريح من كدها ، وتعبها.

أرسم له غداً يكون بوسعه أن يطير في سماواته كلّ حماماته.

هذا الذي يجلس أمامي ، متسعاً صدره ، ومتسعاً أفقه ، يتجول بي عبر العالم ، ويطلع الآخرين على نصوصي ، لا يضيق صدره بأسئلتي ، ولا يتذمر ، ليس لديه أسئلة مؤجلة ولا أجوبة مضللة. "نور الدّين " منحته كوة من النور ، فوهبني عالماً دونما حدود.

هذا الجهاز العجيب أعاد صياغة العلاقات مع الأبناء ، جعلني أتوق للجلوس مع ابني كي أتعلم ، كي أعبر من خلاله إلى العالم الأرحب ..هذا المعلم الصغير ، لا يحمل عصا ، ولا يهدد بـ"فلقة " وليس لديه "سوط" هذا المعلم الصغير لا يتوعد ، ولا يتهدد ، ولا يتفنن في طرق التعذيب. هذا المعلم الصغير ، أرهقته ، شقيته ، أربكته .. لكنه كان يقابل هذا كله ببسمة وبرضا. ساعات متواصلات أقضيها هذه الأيام

صحبة هذا المعلم الصغير الجميل.

ولابد في النهاية أن نشيد بالخطوة الحضارية الرائعة ، بإدخال الحاسوب إلى مدارس التعليم الأساسي ، ليكون بوسع هذا الجيل الدخول مباشرة إلى عالم لا محدود من المعارف والعلوم .

عالم من دون إقصاء .. من دون إلغاءه عالم يعتبر الحرية حقاً ، وليست هبة ، أو منة ، أو فضلاً من أحد.

إن إدخال الحاسوب إلى مدارس الأطفال والناشئين ، إذا كان مدروساً وعلمياً ، فإنه يعني بداية الرهان على (العقل والمستقبل).

شـــاهـــــد زور !!

أي كتابة يمكن أن تكون طاهرة؟

أي كتابة يمكن أن تكون شريفة ؟

أي كتابة يمكن أن تكون نزيهة ؟

وأي كتابة يمكن أن تكون منتمية ؟

وماذا يمكن أن نقول ؟ نحن الذين لا نتقن إلا القول ؟ وهذا القول يخذلنا الآن ، يعجزنا ، ويطيح بكل خطاباتنا ومقولاتنا ، أي كتابة يمكن أن تفتح عينيها أمام مشهد ذبح طفل فلسطيني ؟ وأي كتابة يمكن أن تصيخ السمع لاستغاثات امرأة عراقية تنتهك وتغتصب ؟

أي قصيدة يمكن أن تجرؤ عن الحديث عن سقوط مدينة بقامة بغداد .. أي كاتب يمكن أن يجرؤ حتى على البكاء؟ والصياح ؟ أو التشنج الدرامي؟

ترى ما جدوى الكتابة ، حين يكتب عليها أن ترصد النكبات ، تتلقى النكبة تلو النكبة ، وكأنها ولائم ، فتسارع بالانقضاض عليها.

وبئست كلمات تلك التي لا تتقن إلا البكاء .. وبئست كلمات تلك التي لا تعرف إلا أن ترثى.

ما جدوى الكتابة وهى تقف شاهد عيان ، " شاهد زور" أمام انهيار تاريخ ، وسقوط حضارة وانتهاك حرمة.. أي كتابة آثمة تلك التي تتعيش على أشلاء الأطفال ، وتسبك نفسها من دموعهم وأنينهم.

لم تفلح كل كتاباتنا عن الذود عن عرض ينتهك الآن في ساحات الرشيد والمنصور واليرموك والقادسية والقدس وغزة ورام الله. لم تفلح كّل كتاباتنا في حماية طفل بريء. لم تفلح في أن تكون فاعلة ومؤثرة .. لم تفلح في أن تكون واجبة الاحترام والتقديس .. لم تفلح في أن تجعل احترامها فرض عين على السلطة الحاكمة ..لا أن تكون ظلاً لها ، (وبوقات) وطبولاً جوفاء. كما قال المتنبي :

إن يك بعض الناس سيفاً لدولة

ففي الناس بوقات لها وطبول.

على الكتابة العربية أن " تتوقف " وتعيد ترتيب حساباتها وتعاين جلدها ، وتفحص دمها ، وتتحسس نبضها ، وتسبر أغوار صدرها .. على الكتابة العربية أن تتطهر وتهيء نفسها للحج إلى الناس والاعتمار إلى الناس وتتوقف عن النكوص .. وتشيح بوجهها عن السلطات الآثمة ..

صديـــقي النبـــيّ

جميل هذا النبي محمد ﷺ " .. وجماله في ببساطته ، وحرصه على بشريته ، جميل بهذا القلب الكبير الذي وسع الصغير والكبير " لم يحرص على الظهور في هيأة أسطورية ، لم ينشغل بالمعجزات المادية ، على الرغم من "المحيط " الذي حاول بكل الطرق ، أن يخلع عليه الأمور غير الاعتيادية .

فكان يسارع ، ويدفعها عن نفسه. كان جميلاً بسيطاً ، يخالط الجميع ويعاشر الجميع ، يمشي معهم ، يأكل معهم ، يحارب معهم. يشاركهم سراءهم وضرّاءهم.

صديقي النبي : كان محباً كبيراً ، محباً للحقيقة التي أنفق عمره ، بحثاً عنها ، في هدوء دونما ضجيج ، ودونما صخب ، ودونما ادعاء،يصعد"الغار" القصي ، بعد رحلة من الشقاء والعناء ، لم ترو عنه أية سلوكيات غامضة ، أو طقوس غريبة ، أوتشبثه بلباس معين ، أو ظهوره في شكل بعينه .

أحبّ "عائشة " بكلّ تحلّيات الحبّ.

أحبّ "مكة " بكل تفاصيلها ، بكى حينما أجبر على الخروج منها ، وأحّب أهلها .. نعم أحبهم وهم الذين شاقوه وناصبوه العداء ، وحاولوا الحؤول بينه وبين نشر الدين الحنيف. ثلاثة عشر عاماً يدعو مكة للصلاح وللفلاح وللهداية .ولم يشأ أن يضجر ، أو يتراجع ، أوينتقم من الذين آذوه ،

حين أشار عليه " الملك " ، أن يطبق عليهم الأخشبين .ليس سلوكه الحقد، ولا الكراهيه ، سلوكه الحب ، والسلام ، والطمأنية.

كان نبياً جميلاً ، يريد أن يؤسس لمجتمع إسلامي بديع ، يرتكز على دعائم المحبة وا لمودة .

صديقي النبي محب وذو عواطف نبيلة ، لم يخف عشقه ، حينما عشق ، صرَّح به ، ولم يتردد في إذاعته ، عشق شفيف لطيف ، عشق سام. صديقي النبي يحب أصدقاءه. أصحابه ، وفي لهم ، لم يصبه الغرور حين اختارته أسماء نبياً ، ظل يحث على محبتهم وتقديرهم وإعلاء " شأنهم " صديقي النبي يحب الجميع صديقي النبي :أصادقه بعيداً عن الكتب المغبرة ، والوجوه التي تعلوها غبرة ، بعيداً عن المتجهمين ، غير المتوازنين ، بعيداً عن فرماناتهم وصولجاناتهم وبؤسهم ، ومقتهم.

صديقي النبي : أراه في عيون "أحمد" و"محمد" اللذين أسميتهما على اسمه وكيف لاوهو صديقي الذي أبثه شجني وحزني ، وأطلعه على مواطن قوتي ، يطيب لي أن ألتقط النجوم من مسرى خطاه ، لأهتدى بهديها. صديقي محبّ للربيع وللحياة ، محبّ للخير وللعدالة وللمساواة .. محبّ للفرح.

ولا يحب الذين يشهرون باسمه الخوف والذعر والوعيد في عيون وصدور الناس .

صديقي النبيّ: صديق الفرح العظيم .

العمامي ينكر وفاة الفاخرى !!

كان بالإمكان أن يكتفى بما فعل ، ولم يكن لأحد أن يلومه.

كان يمكن أيضاً ، أن تجره الحياة وتكاليفها بعيداً عن ذكريات الأمس ، بعيداً عن تفاصيلها .. كان يمكن لضجيج الحياة ، أن يسكت في قلبه صوت البحر ، الذى يأتيه ممزوجاً بقهقهات "جنقى " [1] رفيق العمر ، الذى أحبه حدّ الوجع بل حد التماهى .. كان بالإمكان ، لعجلة الحياة المجنونة أن تدهس ماتبقى من نوارس القلب.. كان يمكن لمحمد عقيلة العمامى القاص البارع ، أن يكتفى بهذا القدر من الحزن المدمّى .. الذى كنت شاهد عيان على ملامسة سطوته المفرطة في القسوة والألم ، وهو يشاهد تلك القامة العنيدة الضاجة بالحياة ، الصاخبة بالسخرية،المتقدة ألقاً ووهجاَ ، وإشهاراً للأمل في وجه صنوف المعاناة التى ماانفكت تحاصره.

كان على " العمامى " أن يشاهد كل تلك " الجلبة المبهجة " ، وكل ذلك الوهج يصمت في هدوء ، ويخفت في سكينة .

الأيدى نفسها التى تعوَّدت أن تمتد نحوه ليصافحها بحرارة ودفء هذه المرة .. كان عليها أن تلامس البرودة المقيتة التى أنشبت أظافرها في ذلك الجسد المسجّى..

---

(1) هو لقب القاصّ الراحل : خليفة الفاخري.

كان العمامى الصديق والرفيق يكاد يموت مع موت صديقه ، دون الحاضرين جميعاً ، حاصرته الفجيعة .. لكنها لم تسقطه.. وكأن البحر ذلك الجليل المهيب ، قد أتاه وهمس في أذنه بأن جنقى ""خليفة الفاخرى " ، لم يمت إنّه عنده ، تماماً هو ونوارسه وأحلامه العصّية .. وأن هذا الطقس محض سراب ، وأن هذا التراب لم يحضن سوى الوهم .. فـ"جنقى " حيٌّ .. هكذا يقول البحر .. صديق الكبار ولايكذب البحر أبداً .أحبّ محمد عقيلة العمامى الفاخرى . وصدق في محبته .. وكتب أجمل ما يمكن أن يكتب في سيرة أدبية حين سطّر" منابت الريح سيرة" خليفة الفاخرى" الأدبية .. إنها سيرة وفاء،" ودرس خصوصى "في أصول المحبة وقواعد الرفقة .. درس لأولئك الذين يدَّعون ممارسة الأدب ويتعاطون الثقافة ، ويزرعون الشوك في دروب بعضهم بعضا ، ويتصيدون للعثرات ، ويضخمونها ، ويسفهون إنتاج بعضهم بعضا ، ويدسون ويكيدون ..إن الأدب كائن جميل لا يحب إلاكل من يحمل قلباً جميلاً ، وحساً نبيلاً .. إنه برئ من كل كتابات المهلوسين والمُدلسين وذوى الكتابات الميتة ..

شكراً لمحمد عقيلة العمامى على هذا " الدرس " الممتع في الوفاء للأصدقاء .. وشكراً لهذا النوع البديع من القراءات على خلفية المعايشة والمعاشرة والمصادقة. وهو - لاشك إثراء - لتجربة الفاخرى وتعميق لها .. وهكذا يعلن العمامى حياة دائمة للفاخرى وينكر وفاته..

المفـــارقـــة الثقـــافيـــة
قاضية يُقبل حكمها .. ولا تقبل شهادتها

الازدواجية داء مقيت ، يـربك الحيـاة كلها ، ويـربك معاييرهـا ، ويغــرس الانفصـــام في نفــوس الأفــراد والجماعـــات ، ويجعـــلهم غـــير متوازنين ، منهمكين في المزاوجة ، غير قـادرين على ممارسة " المواقف" الحياتية السليمة .

هذه المراوحة تعطل حركية الإبداع والتطور لدى الأمـم ، والأمـة التـي تكـبل بـازدواجيـات عديـدة ، هـى . لاشـك . غير قـادرة عـلى النـتـاج والإضـافة والخلق. إنما تنفق حقبها ، ودوراتهـا التـاريخية ، في لغط ومراء لانفـــع فـــيه ولاخـــير. وفي المقـــابل ، الأمـــة الـــتي تحـــررت مـــن قـــيود الازدواجيات ، وربقتها ، تمكنت من حسم مواقفها ، وتحديد خياراتها ، فـانطلقت مبدعة منتجة متحررة ، فـانعكس ذلك على أفرادها ، وعلى أدائهم الفكري والثقافي ، بكل منـاحيه ، ومجـالاته.

وحسم الأمـر ، هـو موقـف تـاريخي ، تتخذه الأمم بوعي ومن دون تـردد ، تلبية لى حجـتها التـاريخـية ، ورغبتهـا في تبوّأ المكانة الحضارية اللائقة بها .

و" الثقافة العربية " وهي نـاتج كّل فعاليات وعطاءات وإبداعات ومعرفيات الأمة ، لم تسلم للأسف ، من كّم هائل من الازدوجيات ، ولم

تستطع عبر تاريخها ، أن تحسم أمرها ، وتحدّد بوضوح ، مساراتها ، وترسخ خياراتها ، بل ظلت تتقاذفها مرجعيات متناقضة ، في كلّ حقبة تطغى إحداها ، فتكون لها الغلبة ، وتصطبغ الحياة كلها بصيغتها عنوةً وقسرا.ثم يأتي زمن آخر، فيأفل نجم هذه المرجعية ، فتريحها أخرى ، ناسفة كل تراكمها.

وهكذا دواليك ، تتعايش الثقافة العربية ، تعايشاً مرتبكاً مع جملة من المتناقضات ، وجملة من المرجعيات ، فلاتكاد تلمس لها ، هوية وهي غيرقادرة على تبرئها علانية

من مكبلات تاريخة ، سواء على الصعيد الجمعي او الفردي.

فيسكنها المبدأ ونقيضه ، والقناعة ونقيضها ، والإيمان بالمؤسسة والكفربها ، والولاء للحاكم وكراهته ، والهجوم على الآخر والانبهار به ، التشبث ، بعادات وتقاليد بالية ، والرغبة الملحّة في التخلّص منها .

وهكذا في جوانية كل منا : أربع أوخمس أو ربما عشر أو مئة: جاهليّ ، اسلامي ، وقبلي ، وعصرى ، وتقاليدىّ ، ومتحرّر، متطهر وآبق ، مؤمن وكافر إلخ ... وزانٍ صادق وكاذب ، طاهر وبدوي ومدني.

ويبدو أن هذا الأمر قد كتب على الثقافة العربية الإسلامية ، وهو أن تحيا وسط كَمٍّ هائل من الازدواجيات ، التي جعلت منه مجتمعاً متناقضاً ، مع نفسه ومع الآخرين ، مجتمعاً لا يتوارع في تراكم قناعات ومثل ومبادئ وشعارات ، ولاينسجم معها ، ولايتوافق ، بل ينقم

في كل لحظة عليها ، ويسبها ويلعنها ، ويشتهى أن ينسفها في الخفاء ، أو كلما سنحت له الفرصة.

لا أريد أن أخوض كثيراً في هذه الدائرة ، بل ربما أنا نفسي غائص فيها حتى أذني.

سأتحدث عن عنوان هذه الخلجة :لقد اتخذت محكمة بنغازي الابتدائية قراراً تاريخياً .. هو الأول من نوعه في تاريخ القضاء الليبي : وهو تشكيل اول هيئة قضائية نسائية استئنافية ، وهذه هى أيضاً الأولى من نوعها في تاريخ القضاء العربي الإسلامي .

ثلاث قاضيات يعتلين المنصة ، ورابعة احتياط يصدرن أحكاماً نهائية ، لا مراجعة بعدها ..

إلا أمام المحكمة العليا. وفي حالات استثنائية. هذا القرار التاريخي الرائع ، ينضم إلى جملة قرارات تاريخية أخرى ، أنصفت المرأة ، بل أنصفت فيها الثقافة العربية الإسلامية نفسها مع المرأة ، راجعت نفسها ، وبالفعل كانت قرارات ، هى بمعيار المؤسسة التقليدية وفرماناتها جريئة بل متجاوزة للحدود ، وتحاسب كثيراً من الرجال ناقصي العقل والدِّين ، أن تعتلي منصة القضاء ، وتؤيد التجربة ويؤكد المعترك ، جدارتها وأحقيتها ، وبطلان ما أشيع عنها بأنها ناقصة عقل ودين .

في محكمة بنغازي الابتدائية المرأة كلها عقل ، وكلها دين ، اعتلت المرأة منصة القضاء ، مسجلة أول سابقة تاريخية ، تنتصر

للمرأة وتصدر الأحكام ، بحكمة واقتدار.

المفارقة العجيبة هى تلك الازدواجية التي تعيش بقوة في المكان عينه ، والمعيار المؤسس الآخر ، الذي لا يُعتد بشهادة المرأة ، بل لابد من شهادة امرأتين. والمرأة القاضية نفسها ، مطالبة بتطبيق هذا المعيار.

شيء غريب : تعتلي المرأة منصة القضاء ، وتصدر الأحكام ، ولا تقبل شهادتها. مفارقة غريبة. أعلى ما في القضاء القاضي .. ودونها بكثير الشهادة. فكيف تكون المرأة قاضيةً بل أعلى درجة في القضاء ولا يقبل بها شاهداً ، فشهادتها مجروحة. بينما حكمها الذى قد يصل إلى القصاص بالمؤبد أو الإعدام مقبول ؟!!

الكتابة غير المحايدة

هل يمكن للكتابة الأدبية أن تكون محايدة ؟

هل يمكن للمبدع أن يكون غير منحاز؟

الكتابة غير المحايدة -في رأيي - هي كتابة بليدة ، عروقها جافة ، وشرايينها متجمدة. ولا قدرة لها على التواصل .

الذين انحازوا إلى الكتابة المحايدة ، انحازوا إلى الموت ، وانحازوا إلى السراديب المعتمة .

الكتابة المحايدة فعل فاتر ، يفقد شرعية وجودة.

لابد أن نقول هذا .. ونحن نمهد للحديث عن الشاعر/ عذاب الركابي هذا الشاعر الذي أتيح لي التعرف إليه في مطلع الثمانينيات ، في رحاب مجلة "الثقافة العربية ".

كنت شرعت للتو في التعرف على عالم الكتابة الصحفية ولم تنقطع صلتي بها حتى هذه الساعة؟

عذاب الركابي حين يكتب لا يعرف الكتابة المحايدة ، عذاب الركابي حين يكتب ، لابد أن تلمح فصيلة دمه ، ونوع بصمته،وتقاسيم جرحه. إنه يورط دمه كله فيما يكتب ، يقحم شغاف الروح فيما يبدع.. ينحاز لكتابته انحيازاً مذهلاً ، يتماهي بين

ثنياتها تماهياً حقيقياً .

تتسق أمشاجه مع امشاجها. وفيٌّ للأمكنة ، وفيٌّ للوجوه ، وفيٌّ أيضاً لحزنه العتيق. الركابي لم يسقط منه شيء في الطريق على الرغم من وعورتها ، لم تنل منة سطوة الاغتراب ، فاتنعش بلذة الاقتراب .

لم يكن عذاباً محايداً ، أمام إبداعات المبدعين الليبيين ، على مدى أكثرمن عقدين ، تولى رصدها وقراءتها ، ومتابعتها ، والدعاية لها ، والاحتفاء بها. هذا هو خلق المبدع .. يسارع في شفافية للتعريف بديوان جديد ، اوقصة ، أو رواية ، أوكتاب نقدي ، يعد كل إصدار جديد ، هو إصدار لـه فلا يتردد في تناوله وعرضه ، مستثمراً علائقه الطيبة على امتداد الوطن العربي وتواصلاً مع هذا السلوك الإبداعي ، وتعانقاً مع الكتابة غير المحايدة ، يصدر الشاعرعذاب الركابي مؤلفاً جديداً. يحمل عنوان [عبدالرحمن مجيد الربيعي] نزيفاً مضيئاً .. في هذا الكتاب يمضي مباشرة - عذاب إلى جروح الربيعي ، لا لينكأها ، وإنما يربت عليها ، ويحاول تضميدها..

جرحان يلتقيان في حضرة الاغتراب ، كتاب الركابي حول الروائي المعروف / عبد الرحمن مجيد الربيعي ، هو كتاب احتفائي بهذا الروائي ، الذي يرى الركابي إنه ظلم مرات عديدة ، ولم ينل المكانة التي يستحقها ، على الرغم من قامته الإبداعية المنتمية الراسخة ، التي خطت خطواتها الواثقة الأولى منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، مرسياً قواعد الفن القصصي ، بداية من رواية " الوشم "

والخمس روايات المهمة التي صدرت تباعاً : الانهيار - القمر والأسوار، الوكر- خطوط الطول. خطط الوطن - عيوب في الحلم ، .

عذاب والربيعي جرحان يلتقيان في المنفى ، يلتقيان على مرأى ومسمع من وطن كبير باتساع الجرح ، يلتقيان في المنفي ، مبعدين عن وطن منفي من أول نخلة في بغداد ، لآخر قطرة في الفرات .. جرحان يلتقيان ينعيان نفسيهما المدهوسة تحت وطأة البعاد ، أم ينعيان عراقاً مجللاً بالسواد في هذا الكتاب .. يدنو عذاب من ذلك المنفي العتيق .. ربما بحثاً عن ومضة ، أو بقايا بريق ، بحثاً عن وطن كبير ، تداخل في زحمة الوجوه ، بحثاً عن تاريخ منهوب وفراراً من حاضر مقيت ، يضج الآن ناعباً في سماء الوطن.

يشمل الكتاب في فصوله الأولى على مقاربات حميمية للشاعر عذاب الركابي مع تجربة الربيعي بكل تفاصيلها. وكعادته ، يورط قلبه ودمه وروحه في حديثة عن الربيعي وعن إبداعاته ، عن رواياته وأشعاره وممارساته النقدية. إضافة إلى حوار مطول كان قد أجراه عذاب مع الربيعي على صفحات مجلة" الثقافة العربية " ثم يختم طوافه في هذا "المجال" الإبداعي الفريد ، بعدد من الشهادات في تجربة الربيعي لكتّاب ومبدعين من بينهم " الفنان التشكيلي محمد استيتة والشاعر أحمد بشير العيلة والقاص / محمد المسلاتي والأديبة غادة السمان والناقد / فاضل تامر والكاتبة القاصة/ رشيدة الشاروني ، والروائي أحمد خلف.

لم يكتب عذاب الركابي (عن) الربيعي ، فهذه الـ"عن" توحي بالانفصام والانقسام ، وتنشىء حاجزاً وهميا.. ماقام بة الركابي في كتابه : (تماشج) على رأي صديقنا الشاعر أحمد عمران بن سليم (تماشج) في أنصع صوره .

عودة "امرأة المسلاتي"

بعد غياب طويل .. عادت "امرأة الفرح" التي ظلت متشحة بفرحها ، رغم طول السنين ، هاهي تنفض عن وجهها الأغبرة ، معلنة حضورها ، ومغادرتها لفلك النسيان ، وطقس الضباب.

المجموعة القصصية التى تستريح أمام نظرى الآن تمسي بعينيها في ذاكرتى ها أنذا "امرأة الفرح" وتعود بي السنين إلى ذلك الزمن الجميل إلى ذلك الحقل الذي كان يحاصرنا بورده وفله ، وياسمين .عقد الثمانينات ..مقر "الثقافة العرية "والصديق القاص " محمد المسلاتي "يمد إلينا بأوراق قائلاً إنها قصة جديدة " المرأة الفرح" لقد ادهشنا العنوان قبل أن تدهشنا القصة .

"محمد المسلاتي " أحد حماة القصة الليبية ، لماذا نقول هذا ؟

نقول هذا لأن موهبة المسلاتي الحقيقية ، واحترامه لفنه القصصي ، أسبغ على هذا الجنس الأدبي "قداسة فنية " فلم يجرؤ الدعاة على اختراقه أو انتهاك حرمته. وللحقيقة نقول إن المسلاتي لم يكن لوحده ليذود عن هذا الفن الجميل. بل آزره ثلة من كتاب قصص حقيقين ، كتبوا فناً رفيعاً. وأشير هنا إلى جيل متقارب ، جيل بدأ نتاجه منذ مطلع السبعينيات وما تبعه جيل امتلك موهبة حقيقية يمكن لنا أن نذكر على سبيل المثال: سالم العبار عمر الككلي ، سالم

الفاخرى ، سالم الهنداوي ، سالم الأوجلى ، خليفة احواس ، الصديق بودوارة ، أحمد يوسف عقيلة ، الناجي الحربي ، صالح عباس ، فوزية شلابي ، ثم يأتي محمد الأصفر ومحمد العنيزى ، ونجوى شتوان ورحاب شنيب وآمال العيادي وحسن بوسيف وغيرهم .

إن الحديث عن القاص " المحترم " محمد المسلاتي بمناسبة ظهور مجموعته القصصية القديمة الجديدة "امرأة الفرح" التي صدرت مؤخراً ضمن عشرات العناوين عن مجلس تنمية الإبداع الثقافي ..

هذا الحديث لابد أن يقود إلى إقرار حقيقة مهمة للغاية وهي أن فن القصة الليبية ظل أقل الفنون والأجناس الأدبية انتهاكا. لم يلج إلى فضائه الكاذبون ، ولم يرسخ أقدامه في محيطه إلا ذو موهبة أصيلة .وهذا يدعونا إلى إسداء تحية خاصة لجهد رائع لمحمد المسلاتي وجيله الذين حافظوا على نصاعة هذه الجنس البديع. على عكس ما حدث للمسكين " الشعر" الذي صار كما يقول إخواننا المشارقة [ملطشة] من هب ودب يجرؤ على [ارتكابه] والقضايا كلها تسجل ضد مجهول. إن الذى يحسب للكتّاب والنقاد ، في فترة السبعينيات ، أنهم تابعوا بدقة إبداعات هؤلاء الشباب بالتوجيه والنقد البناء والقاسي أحياناً : ويذكر هنا الأديب الراحل سليمان كشلاف ، والناقد خليفة حسين ، حسين مخلوف. هذه الكتابات النقدية المسؤولة ، إلى جانب المواهب الحقيقية للمبدعين ، رسخت تقاليد ثابتة في كتابة القصة الليبية ، وعملت على صيانتها من القراصنة

والأدعـياء وأشـباه الموهوبـين. للأسـف لم يحـدث هـذا للشـعر، فقـد اكتظـت السـاحة بـ " النصـوص وبـ " الشـعراء " وبالألقـاب المجانـية. ولـيس هـناك مـن يفـض الاشـتباك وتكـون هـناك آراء نقديـة علمـية مسـؤولة، ولـيس مقدمـات [هزلـية] مضـحكة، أو إطرائـية ديوانـية، أو [تهويمية ضبابية].

الفهــرس



▪ يقدم مجلس الثقافة العام للقارىء الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام